MIDDLE EAST COUNCIL
ON GLOBAL AFFAIRS

ملف
أبريل 2024

إيران في الشرق الأوسط:
بناء الجسور أم توسيع النفوذ؟

تحرير شهرام أكبر زاده وحميد رضا عزيزي

حقـوق النشــر والطبـع محفوظـة لمجلـس الشـرق الأوسـط للشـؤون الدوليـة
© 2024.

تعـود الآراء الـواردة فــي هـذا الملـف إلى مؤلّفيهـا ولا تعكـس بالضـرورة آراء
ووجهـات نظـر مجلس الشرق الأوسط للشؤون الدولية.

قائمة المحتويات

2 **المقدّمة**
شهرام أكبر زاده و حميد رضا عزيزي

6 **الجزء الأول**
سياسة إيران الإقليميّة

8 **سياسة الجوار الإيرانية: تقييم**
مهران كمرافا

14 **العلاقات الإيرانية السورية وسط ديناميات إعادة الضبط الإقليميّ**
حميد رضا عزيزي

20 **مسار العلاقات الإيرانية السعوديّة: الفرص والتحدّيات**
فاطمة الصمادي

27 **دور إيران في حرب اليمن: الأثر الحقيقي والمكاسب الإقليمية**
فوزي الغويدي

34 **إيران ودورها المتغيّر في الحغرافيا السياسية العراقية: من التنافس إلى التحالف**
مهنّد سلوم

41 **الجزء الثاني**
الجهات الفاعلة الدولية وسياسة إيران الخارجية

43 **إيران والاتفاق النووي: إلى أين؟**
شهرام أكبر زاده

50 **سياسة رئيسي الخارجية لإحياء مكانة إيران الدولية: استمرارية لأسلافه**
لوتشيانو زاكارا

56 **صعود إيران؟ تغيّر المفاهيم والطموحات العالمية في عهد رئيسي**
آزادي زاميريراد

62 **الخاتمة**
شهرام أكبر زاده وحميد رضا عزيزي

المقدّمة

شهرام أكبر زاده وحميد رضا عزيزي

إنّ دور إيران في الشرق الأوسط تاريخي ومتغيّر، يميّزه تداخل إستراتيجي بين الدين والأيديولوجيا والسياسة والديناميات الإقليمية. ونظراً لموقعها في قلب منعطفات جيوسياسية حيوية، تترتّب على تصرّفات إيران آثارٌ بعيدة المدى يتردّد صداها في جميع أنحاء المنطقة وخارجها. يفكّك هذا الملفّ التعقيدات التي تحيط بسياسة إيران الإقليمية، والتي تشكّلت من مزيج من الموروثات التاريخية والتوجهات الأيديولوجية والمصالح الإستراتيجية والتطلعات السياسية.

وتشكّل أهمية علاقات إيران مع الدول المجاورة لها – الممتدّة من تركيا في الشمال الغربي إلى الدول الخليجية في الجنوب – جانباً أساسياً من سياستها الإقليمية. ويميّز التداخل المعقّد بين التعاون والمنافسة هذه التفاعلات، مع ما يترتّب على ذلك من عواقب كبيرة على استقرار المنطقة وأمنها. لقد كانت علاقة إيران مع جوارها متقلّبة، حيث تأرجحت ما بين الخطاب العدائي والحوار ومواقفها الإستراتيجية.

وكان من شأن التوقيع على خطة العمل الشاملة المشتركة في العام 2015 أن يساهم في تسوية مسألة الملف النووي وإعادة إيران إلى الصورة. ومع ذلك، فقد أدّى الانسحاب الأحادي الجانب للولايات المتحدة في العام 2018، وإعادة فرض العقوبات من خلال سياسة "الضغط الأقصى" إلى شلّ الإتفاق، ما دفع إيران إلى الردّ من خلال تقليص إلتزامها بالإتفاق تدريجياً. علاوة على ذلك، فقد أدّت هيمنة الفصيل المتشدّد في عهد الرئيس إبراهيم رئيسي، وعدم قدرة الطرفين على التوصّل إلى إتفاق بشأن التعويضات أو الترتيبات التي قد تثبط الإجراءات الأحادية المستقبلية (مثل الانسحاب الأمريكي)، إلى الحدّ بشكل كبير من نطاق المحادثات النووية، على خلفية التوترات الإقليمية المتزايدة.

ومن حيث النطاق الجغرافي، يمتدّ نفوذ إيران إلى دول رئيسية، مثل سوريا والعراق واليمن. فقد شكّل انخراط طهران في سوريا عاملاً حاسماً في إنقاذ نظام الرئيس بشار الأسد، وفسح المجال أمام تعاون أوثق بين إيران وروسيا، تجلّى لاحقاً في الحرب في أوكرانيا. أمّا في العراق، فقد وسّعت إيران نفوذها بشكل مباشر أو من خلال حلفائها داخل الفصائل الشيعية. كما تحوّل العراق إلى ساحة معركة بالوكالة بين إيران والولايات المتحدة. وعلى نحو مماثل، يؤكّد دعم إيران لحركة أنصار الله (جماعة الحوثيين) في اليمن على نيّتها الإستراتيجية لتوسيع نفوذها في شبه الجزيرة العربية، وموازنة انخراط السعودية في البحرين وسوريا.

ويشكّل "محور المقاومة"، وهو شبكة من الجهات الفاعلة المسلّحة غير الحكومية المدعومة من إيران، عنصراً مهماً في إستراتيجية إيران الإقليمية. وتضمّ هذه الشبكة مجموعات مثل حزب الله في لبنان وحماس في غزة، وتمثّل أداةً رئيسية في سياسة إيران الخارجية. والأهمّ من ذلك، يسمح "محور المقاومة" لإيران بإظهار قوّتها ونفوذها في خارج حدودها ويحدّ من خطر المواجهة المباشرة مع خصومها الرئيسيين مثل الولايات المتحدة وإسرائيل. توضّح مشاركة المجموعات المدعومة من إيران، وهي حزب الله والحوثيين، في الحرب المستمرّة بين حماس وإسرائيل في غزة، بشكل أكبر موقف طهران الإستراتيجيّ ضمن السياق الإقليمي الأوسع.

وتحدث هذه التطوّرات في ظلّ تغيّر سياسة إيران الداخلية التي تميّزت بالميل نحو زيادة الأمننة والسلطوية. وفيما تصبح إيران أكثر سلطوية في الداخل وتواجه ضغوطاً دولية متزايدة من الغرب، برز تحوّل ملحوظ نحو التعاون مع القوى الشرقية مثل روسيا والصين. ويشكّل هذا التحوّل جزءاً من إستراتيجية "التوجه شرقاً" التي تنتهجها إيران، ما يعكس إعادة تنظيم إستراتيجي استجابةً للديناميات العالمية والداخلية. وتنعكس هذه التحوّلات على انخراط إيران على المستوى الإقليمي، ما ينعكس على تفاعلاتها وسياساتها وتحالفاتها.

يقدّم هذا الملف نظرة شاملة عن الموضوعات ذات الصلة بسياسة إيران الخارجية، بالإضافة إلى فهم دقيق لدور إيران في الشرق الأوسط والاستجابات التي يثيرها من الجهات الفاعلة الإقليمية والخارجية.

في الفصل الأول، يناقش مهران كامرافا "سياسة الجوار" المتغيّرة التي انتهجتها إيران في عهد الرئيس إبراهيم رئيسي، مؤكّداً على التحوّل نحو تحسين العلاقات مع البلدان العربية المجاورة لها، وتحديداً المملكة العربية السعودية. ويتناول كامرافا اختلاف هذه المقاربة عن الجهود السابقة بسبب اعتمادها رسمياً كعقيدة رئيسية

في السياسة الخارجية. ويحلّل هذا الفصل العوامل المختلفة التي تساهم في فعالية السياسة، بما في ذلك تقبّل المملكة العربية السعودية والتغيّرات الهيكلية الأوسع في المنطقة. بالإضافة إلى ذلك، فهو يتناول السياق التاريخي للعلاقات بين إيران والدول العربية منذ ثورة 1979 والمبادرات الدبلوماسية الأخيرة، مثل مبادرة هرمز للسلام والتقارب مع المملكة العربية السعودية، مسلّطاً الضوء على أثر الديناميات الدولية والإقليمية على سياسة إيران الخارجية.

أمّا الفصل الثاني بقلم حميد رضا عزيزي، فيقيّم التحالف المتجذّر بين إيران وسوريا، وتحديداً منذ الأزمة السوريّة التي بدأت في العام 2011، في سياق التحوّلات الإقليميّة الأخيرة. ويناقش عزيزي تأثير الديناميات الجديدة على هذا التحالف، الأمر الذي يتّسم بأهميّة بالغة لمصالح إيران الإقليميّة الإستراتيجيّة، مثل عودة سوريا إلى جامعة الدول العربية، وتحسين العلاقات بين إيران والمملكة العربية السعودية، والتطبيع العربي الإسرائيلي. ويتناول هذا الفصل أثر هذه التغيّرات الإقليمية المحتمل على العلاقة بين إيران وسوريا، مشيراً إلى أنّه على الرغم من الفرص الجديدة التي توفّرها إعادة التنظيم الدبلوماسي في سوريا، إلّا أنّها لا تحدّ بالضرورة من نفوذ إيران، وخاصةً في المسائل العسكرية والأمنية.

بعد ذلك، يتناول فصل فاطمة الصمادي ديناميات العلاقة الإيرانية السعودية المتطوّرة. وهي تركّز على السياق التاريخي لتفاعلاتهما، والتي شهدت فترات من الصراع الشديد، والمنافسة، والعلاقات الدبلوماسية العرضيّة. ويناقش الفصل طبيعة الخلافات بين الجانبين، والتي تشمل مجموعة واسعة من القضايا ومنها المنافسة الإقليمية، والطاقة، والعلاقات الخارجية، ووجهات النظر الأيديولوجية المختلفة في السياسة الخارجية. تتعمّق الصمادي في النجاح المحتمل والقيود المفروضة على التقارب بين المملكة العربية السعودية وإيران، مع الأخذ في الاعتبار العوامل التي تؤثّر في مسار العلاقة بين الدولتين.

أمّا في الفصل الرابع، فيركّز فوزي الغويدي على دور إيران في حرب اليمن، ونفوذها الفعلي، ومكاسبها الإقليمية. ويناقش الغويدي وجهات النظر المختلفة حول انخراط إيران، وما إذا كان الحوثيون وكلاء لطهران أو كياناً مستقلاً لها أهداف مشتركة مع إيران. ويتناول هذا الفصل دوافع السياسة الخارجية الإيرانية في اليمن، مشدّداً على دعمها للمجموعات المنشقّة المعارِضة للنفوذ الغربي. ويتتبّع العلاقة التاريخية بين إيران والحوثيين، من خلال المقارنة ما بين عواملهما الدينية والسياسية والمذهبية.

وفي ختام القسم الأول، يتناول الفصل الخامس بقلم مهند سلوم العلاقة الدينامية بين إيران والعراق، ويعرض مسيرتهما التاريخية من التنافس إلى التحالف. كما يتناول هذا الفصل النفوذ الإيراني المتزايد في العراق ما بعد العام 2003، ولا سيما في المجالات السياسية والأمنية والاقتصادية. ويضع سلوم العلاقات بين البلدين في سياق تاريخي، مسلّطاً الضوء على التحوّل الكبير من الحرب الإيرانية العراقية إلى التعاون المفاجئ في الألفية الجديدة. ويتطرّق هذا الفصل أيضاً إلى ضرورات إيران الإستراتيجية في العراق، مثل استخدام البلاد كرادع، وقناة للتحالفات الإقليمية وشريك اقتصادي. كما ويناقش هذا الفصل استخدام إيران المتطوّر للديناميات بالوكالة في العراق، الأمر الذي عزّز مكانتها على الساحة السياسية العراقية.

في بداية القسم الثاني، يتناول شهرام أكبر زاده التعقيدات المحيطة بمحاولة إعادة إحياء خطة العمل الشاملة المشتركة وسط ديناميات عالمية وإقليمية متغيّرة. ويتطرّق هذا الفصل إلى آثار انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق في عهد الرئيس دونالد ترامب، وتصاعد التوترات في الشرق الأوسط، فضلاً عن بروز الإدارة المتشدّدة في إيران. ويحلّل أكبر زاده الأسس الأيديولوجية للسياسة الخارجية الإيرانية، وتحوّلها الإستراتيجيّ نحو روسيا والصين في ظلّ سياسة "التوجه شرقاً"، فضلاً عن التحديات التي يفرضها ذلك أمام إحياء الاتفاق النووي. كما يناقش الفصل قدرات إيران العسكرية غير المتكافئة وطموحاتها الإقليمية. ويجادل بأنّ هذه التطورات – إلى جانب انضمام الدولة إلى منظمات مثل منظمة شنغهاي للتعاون ومجموعة البريكس– قد خفّفت من حاجة إيران لإحياء خطة العمل الشاملة المشتركة وزادت من تعقيد الوضع بالنسبة إلى الولايات المتحدة.

بعد ذلك، يحلّل لوتشيانو زاكارا في الفصل السابع طريقة تعامل رئيسي مع العلاقات الدولية، والتي تحدّت التوقّعات بزيادة العزلة. ويشير زاكارا إلى أنّ نجاح رئيسي قد اعتمد إلى حدّ كبير على الاستناد إلى الأسس

الإستراتيجية التي وضعها أسلافه. ويسلّط هذا الفصل الضوء على استمرار السياسات، مثل الردع غير المتماثل، والأقلمة، وسياسة "التوجه شرقاً"، والتي تعود جذورها إلى رئاستي محمود أحمدي نجاد وحسن روحاني. كما ويشدّد على إحياء سياسة "حسن الجوار" التي تنتهجها طهران تجاه الدول الخليجيّة وإعادة انخراطها في أمريكا اللاتينية. باختصار، يرى زاكارا أنّ ولاية رئيسي تمثّل استمراراً للسياسات الخارجية المتّبعة في الجمهورية الإسلامية.

تتناول آزادي زاميريراد في الفصل الثامن والأخير سياسة إيران الخارجية المتغيّرة في عهد رئيسي، وتركّز بشكل خاص على سياسات "الجوار" و"التوجه شرقاً". وتستكشف زاميريراد ترابط هذه السياسات بشكل متزايد بسبب التطورات مثل حرب روسيا ضد أوكرانيا وانخراط الصين في منطقة الخليج. ويقيّم هذا الفصل حزم إيران المتنامي وسعيها لتحقيق هدف إصلاحي في تشكيل نظام ما بعد الغرب. كما تناقش نجاح إدارة رئيسي في العلاقات الدبلوماسية مع الدول العربية، وخاصة المملكة العربية السعودية، فضلاً عن التوافق الإستراتيجي مع القوى الشرقية ردّاً على العقوبات الغربية والتطوّرات الإقليمية.

يودّ المحرّران التنويه بأنّ العمل على هذا الملف اكتمل قبل الهجوم الإيراني بالطائرات المسيّرة والصواريخ على إسرائيل في 13 أبريل. وكانت الضربات أول هجوم مباشر لطهران على إسرائيل، والذي اعتُبِر كردّ انتقامي على الغارة الإسرائيلية على القنصلية الإيرانية في دمشق في 1 أبريل. يقدّم هذا الملف نظرة معمّقة على إيران ورؤيتها السياسية، ولا يعكس التحليل التطوّرات الأخيرة.

إنّ الآراء الواردة في هذه المقالة تخصّ المؤلّفين حصراً ولا تعكس رأي مجلس الشرق الأوسط للشؤون الدولية.

الجزء الأوّل

سياسة إيران الإقليميّة

ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان والرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي يحضران اجتماعاً طارئاً لجامعة الدول العربية ومنظمة التعاون الإسلامي في الرياض في 11 نوفمبر 2023. (وكالة الصحافة السعودية / وكالة الصحافة الفرنسية)

سياسة الجوار الإيرانية: تقييم

مهران كامرافا

أستاذ في الشؤون الحكومية في جامعة جورجتاون في قطر

مهران كامرافا هو أستاذ في الشؤون الحكومية في جامعة جورجتاون في قطر. كما أنّه يرأس وحدة الدراسات الإيرانية في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. كامرافا خبير في الشؤون الإيرانية وسياسات الشرق الأوسط، وفي رصيده عدد من المقالات الصحفية والكتب.

تشمل أحدث كتبه:

Righteous Politics: Power and Resilience in Iran; A Dynastic History of Iran: From the Qajars to the Pahlavis; Triumph and Despair; In Search of Iran's Islamic Republic; A Concise History of Revolution; Troubled Waters: Insecurity in the Persian Gulf.

المقدّمة

أعلن إبراهيم رئيسي بعد فترة وجيزة من انتخابه رئيساً لإيران في العام 2021، أنّ تحسين علاقات إيران مع الدول المجاورة لها يمثّل هدفاً من أهداف سياسته الخارجية الرئيسية. وفي غضون أشهر، قامت الإدارة الجديدة في طهران بصياغة "سياسة الجوار" التي نصّت على تحسين علاقات إيران مع الدول العربية المجاورة لها، وتحديداً المملكة العربية السعودية.[1] إنّ الجهود الرامية إلى تحسين علاقات إيران مع الدول المجاورة لها في مرحلة ما بعد الثورة ليست جديدة، فقد برزت في خلال إدارات الرؤساء السابقين أكبر هاشمي رفسنجاني ومحمد خاتمي وحسن روحاني. ولكنّها المرة الأولى التي تتبنّى فيها الحكومة الإيرانية رسمياً سياسة حسن الجوار كنهجٍ رسميّ.

يتناول هذا الفصل المعايير والأهداف غير المستكشفة حتى الآن لنهج السياسة الخارجية الجديد الذي اعتمده رئيسي. ويناقش بأنّ سعي طهران المدروس لبناء علاقات جيدة مع الدول المجاورة لها قد تضافر مع عدد من العوامل الخارجة عن سيطرة إيران – لا سيّما تقبّل المملكة العربية السعودية الأخير للمبادرات الإيرانية – ليحقّق نتائج مهمّة. وبذلك يكون رئيسي، المعروف بأنّه محافظ، قد حقّق نجاحاً كبيراً حيث فشلت محاولات الإصلاحيين والمعتدلين الإيرانيين. ولا يُنسَب هذا النجاح الجزئي إنّما المهمّ إلى رئيسي وحده، إذ ساعده إلى حدّ كبير عدد من العوامل الهيكلية الأكبر التي تتكشّف في منطقة الخليج ومنطقة الشرق الأوسط الأوسع وغيرها. ومع ذلك، يستحقّ الرئيس الإيراني الثناء لأنّه نجح في خفض التوتّرات بين إيران ومعظم الدول المجاورة لها إلى حدّ كبير.

على الرغم من الجهود العابرة التي بذلها قادة الجمهورية الإسلامية لتحسين علاقات إيران مع الدول العربية المجاورة لها – ولا سيما الرؤساء رفسنجاني وخاتمي وروحاني – ظلّت العلاقات الإيرانية العربية متوتّرة باستمرار منذ الثورة الإيرانية في العام 1979.[2] في الواقع، اندلعت حرب باردة بين إيران والدول العربية، عندما اقتحمت حشودٌ السفارةَ السعودية في طهران والقنصلية السعودية في مشهد في يناير 2016، وأضرمت النار في المبنيين.[3] وقعت هذه الهجمات على خلفية الحروب الأهلية في سوريا واليمن، حيث دعمت إيران ودول عربية مجاورة لها أطرافاً متعارضة. في الواقع، أصبحت سوريا واليمن ساحات قتال رئيسية بين المجموعات المسلّحة المدعومة من إيران وتلك الممولّة من المملكة العربية السعودية ودول عربية حليفة لها. وفي الوقت نفسه، اتّهمت طهران الرياض والمنامة مراراً بالتدخل في شؤونها الداخلية وإثارة الاضطرابات في البلاد.[4] وأكّدت كلّ من المملكة العربية السعودية والبحرين على أنّ إيران تواصل طموحاتها المتمثّلة في تصدير ثورتها، وزعزعة استقرار المنطقة، وتعطيل تدفّق الطاقة الحرّ إلى خارج منطقة الخليج.[5] وقد شبّه وليُّ العهد السعودي محمد بن سلمان المعروف بعلانيته المرشدَ الأعلى الإيراني علي خامنئي بهتلر.[6]

ورأت طهران، في سياق سعيها إلى تحسين العلاقات مع البلدان المجاورة لها، أنّ المملكة العربية السعودية أساسيّة لتعزيز علاقاتها مع الدول العربية الأخرى. ترى طهران أنّ المملكة العربية السعودية تنخرط في "دبلوماسية الدولار"، مستخدمة براعتها المالية لضمان بقاء الدول الأقل ثراء ذات الأغلبية المسلمة على مسافة من إيران.[7] ورأت الحكومة الإيرانية أنّ العلاقات العربية الإيرانية الأوسع لن تتحسّن طالما تقوم السعوديّة باستمالة العواصم العربية الأخرى أو بتهديدها للحفاظ على مسافة من طهران.[8] لذلك، عندما يتعلّق الأمر بالمملكة العربية السعودية، فإنّ إيران المعروفة بانقساماتها الداخلية، موحَّدة بشكل ملحوظ منذ العام 2021 في دعوتها المستمرّة لتحسين العلاقات مع المملكة. وعلى الرغم من الإصرار الإيراني، لم ترَ الرياض أيّ مكاسب إستراتيجية تُذكر في الانخراط في حوار وتدابير مكثّفة للحدّ من التوتّر مع إيران إلّا حتّى الاتفاق الذي حصل في مارس 2023. إذ اتّسمت العلاقات بين الجانبين بانعدام متبادل للثقة.[9]

صحيح أنّ تبنّي إيران سياسة حسن الجوار حديث، إلّا أنّ المقاربة العامة وفوائدها المتعدّدة ليست بالأمر الجديد. ولذلك يستهلّ الفصل بعرض موجز لمفهوم الجوار، والشروط المسبقة الضرورية لتحقيقه، والدافع المحتمل لتبنّيه. ثمّ يتناول الفصل سعي إيران لبناء علاقات حسن الجوار، وإن كانت فاترة في معظم الأحيان. وبصرف النظر عن بعض الاعتبارات السياسية والإستراتيجية التي قد تظهر من وقت لآخر، تقوّض ثلاث مجموعات من العوامل الهيكلية – على المستويات المحلية والإقليمية والدولية – تطبيق طهران بفعاليّة لسياسة حسن

الجوار مع معظم الدول العربية في المنطقة. وما لم تُحلّ هذه العقبات المحلية والإقليمية والدولية، ستبقى الجهود الإيرانية الرامية إلى تحسين العلاقات مع الدول المجاورة لها، وتحديداً العربية منها، في أحسن الأحوال فعّالة بشكلٍ جزئيّ ليس إلّا.

سياسة حسن الجوار

انطلقت محاولة إيران الجادة الأولى منذ عقد من الزمن لتوطيد علاقاتها مع البلدان المجاورة لها في العام 2017 في قضية قطر في أعقاب ما يُعرف اليوم بـ "الأزمة الخليجية".[10] واتّخذت الدولتان، اللتان كانتا على طرفي نقيض في العام 2011 بعد بداية الانتفاضات العربية، خطوات لتوطيد العلاقات بعد فرض السعودية وحلفائها حصاراً على الدوحة.[11] وقد دفع تطوّر هذه العلاقات تدريجيّاً بإيران إلى أن تأمل في تحسين علاقاتها مع الدول العربية الأخرى. وفي هذا الصدد، اتّخذت طهران أهمّ خطوة في سياسة حسن الجوار التي اعتمدتها في العام 2019 تحت مظلّة مبادرة هرمز للسلام (HOPE)، التي طرحتها إدارة الرئيس حسن روحاني.[12] صُمّم الاقتراح، الذي طُرح للمرة الأولى في الدورة الرابعة والسبعين للجمعية العامة للأمم المتحدة، لإيجاد حلول لضمان الأمن في منطقة الخليج وضمان "أمن الطاقة، وحرية الملاحة، وتبادل المعلومات، والحدّ من التسلّح، ومنع الصراعات، وعدم الاعتداء".[13]

وعلى الرغم من أنّ الاقتراح تضمّن سلسلة من التدابير التي هدفت إلى بناء الثقة وتعزيز التعاون المتعدّد الأطراف، إلّا أنّه فشل في إحداث ردود فعل إيجابية من جانب الدول العربية المجاورة لإيران.[14] في ذلك الوقت، كانت المملكة العربية السعودية والبحرين والإمارات العربية المتحدة تأمل بشكلٍ خاص في أن تثمر سياسة "الضغط الأقصى" التي تنتهجها الولايات المتحدة إزاء إيران وتؤدّي إلى تغيير النظام، أو أقلّه تغيير سلوك القادة الإيرانيين. إلّا أنّها أثبتت عدم فعاليّتها. تولّت إدارة أمريكية جديدة مهام الرئاسة في العام 2021، وبدأت كلّ من السعودية والإمارات تشعر بخطورة أخطائها في الحرب التي شنّتها في اليمن في العام 2015. وبدأت المملكة تدرك تدريجيّاً أنّ الانفراج مع إيران قد يصبّ في مصلحتها.[15]

بالنسبة إلى المملكة العربية السعودية، أدّت عوامل متعدّدة دوراً مؤثّراً؛ منها الحرب في اليمن التي لا تحظى بتأييد شعبي ولا يمكن الفوز بها؛ الفشل الواضح لسياسات المواجهة تجاه كلّ من إيران وقطر؛ الآثار المركّبة لجائحة فيروس كورونا المستجدّ؛ فضلاً عن الحاجة إلى تحسين صورتها العالمية في أعقاب مقتل الصحافي السعودي جمال خاشقجي. ويبدو أنّ التركيز على التنمية الاقتصادية الداخلية – وخاصة على تطلّعات "رؤية 2030" وعلى مشاريع البنية التحتية الضخمة – قد ساهم في تقبّل السعودية لتدابير خفض التوتّر مع إيران.

وجاء كلّ ذلك في سياق خفض الولايات المتحدة انخراطها الدبلوماسي في الشرق الأوسط، أقلّه كما يظهر في عواصم المنطقة.[16] فبالنسبة إلى السعوديين، لم يؤدِّ الانسحاب الأمريكي الواضح من المنطقة إلى جعل التقارب مع إيران أمراً مرغوباً فيه فحسب، بل أصبح ضرورة من نواحٍ متعدّدة. وساهم احتدام الحرب الأهلية السورية وعودة سوريا بشكل ثابت إلى جامعة الدول العربية، وتحديداً في مسألة رأب الصدع في علاقاتها مع الرياض، بشكلٍ كبير في تقبّل السعودية لتحسين العلاقات مع إيران.[17] خفّف العاهل السعودي الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود من حدّة موقفه السابق تجاه إيران في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في العام 2021، حيث قال: "إيران دولة جارة". وأضاف: "نأمل بأن تؤدّي المحادثات الأولية مع إيران إلى نتائج ملموسة لبناء الثقة، والتمهيد لتحقيق تطلّعات شعوبنا في علاقات تعاون مبنية على الالتزام بمبادئ وقرارات الشرعية الدولية، واحترام السيادة، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية".[18]

أمّا إيران، فهي تعتبر خفض التوتّرات مع المملكة العربية السمة الأكثر أهميّة في سياسة الجوار التي تنتهجها. ومن وجهة نظرها، يمكن أن يشكّل تحقيق الانفراج مع المملكة العربية السعودية نقطة انطلاق لتحسين العلاقات مع الدول العربية الأخرى وإحلال السلام والاستقرار في المنطقة. ولهذا السبب، وضعت إدارة رئيسي سياسة الجوار على رأس أولوياتها في علاقات إيران الدولية. وأخيراً، ونتيجة للمفاوضات السرية في بكين، والتي كانت تجري منذ فترة من خلال جهود الوساطة التي بذلاها العراق وعُمان، أعلنت إيران والمملكة العربية السعودية، في مارس 2023، عن استئناف العلاقات الدبلوماسية بينهما وبدء حقبة جديدة في سياساتهما تجاه بعضهما البعض.[19]

ومن الجدير بالذكر أنّه بعد فترة وجيزة من بدء التقارب الإيراني السعودي، أعلنت إيران والبحرين عن استهلال سلسلة من الإجراءات لبناء الثقة والحدّ من التوتّر، من بينها استئناف الرحلات الجوية، وزيارات الوفود البرلمانية، وفي نهاية المطاف، استعادة العلاقات الدبلوماسية التي قطعت في العام 2016.[20] وفي الوقت عينه، باشرت إيران والإمارات العربية المتحدة بإنشاء عدد من العلاقات الأمنية رفيعة المستوى التي يعود تاريخها إلى عهد إدارة روحاني. وأصبحت مثل هذه التبادلات أكثر تواتراً وفعاليّة مع وصول رئيسي إلى سدّة الرئاسة، لتبلغ ذروتها مع إنشاء علاقات دبلوماسية رسمية كاملة بين الجانبين في أبريل 2023.[21]

ولاطالما شكّلت حدود إيران الشرقية التي يسهل اختراقها مع أفغانستان وباكستان نقطة خلاف محتملة بالنسبة إلى إيران. ففي السنوات الأخيرة، قُتل عدد من حرس الحدود والجنود الإيرانيين في هجمات نسبتها الحكومة الإيرانية إلى المهربين و "الإرهابيين".[22] ومع ذلك، استمرّت السلطات الإيرانية في سعيها للتقليل من خطورة الوضع، وركّزت على مدى ودّية العلاقات بين إيران وكلّ من إسلام أباد وكابول. وإثر مقتل ستة جنود إيرانيين بالرصاص في مايو 2023 من داخل أفغانستان على يد قوات طالبان، سارع مسؤولون إيرانيون إلى توصيف الحدث على أنّه مجرّد "حادث بسيط"، شبيه بـ "نزاع عائلي".[23] وشدّد وزير الداخلية الإيراني على أنّ الحوار هو السبيل الوحيد أمام الجانبين لحلّ خلافاتهما.[24]

وقد أشار وزير الخارجية الإيراني حسين أمير عبد اللهيان إلى أنّ التهدئة مع المملكة العربية السعودية أمرٌ أساسي لتحقيق المصالحة مع الدول العربية الأخرى، قائلاً: "نحن بحاجة إلى مزيد من الحوار. لقد توصّلنا نحن والمملكة العربية السعودية إلى اتفاقات بشأن بعض القضايا، ونرحّب بهذا الحوار. فالحوار الجاري مع المملكة العربية السعودية مفيد للمنطقة وبنّاء، إذ إنّ إيران والمملكة العربية السعودية دولتان مهمّتان وتؤثّران في تحقيق الاستقرار الأمني في المنطقة".[25] وردّد محمد جمشيدي،[i] مسؤول آخر رفيع المستوى في الإدارة الإيرانية، فحوى تصريح وزير الخارجية، قائلاً: "تشكّل سياسة الجوار والتفاعل الأقصى والتعددية الاقتصادية أسساً رئيسية لسياسة الحكومة الخارجية".[26] وفي يناير 2022، عقدت وزارة الخارجية الإيرانية مؤتمراً رفيع المستوى بعنوان "الجوار"، اقترح في خلاله وزير الداخلية أحمد وحيدي إنشاء وزارة تُعنى بشؤون الجوار مهمّتها تعزيز سياسة الجوار التي تنتهجها الحكومة.[27] وأجاب متحدّث آخر "إنّ المشكلة مع البلدان المجاورة ليست بسبب غياب منظّمة ما أو عدم وجود وزارة شؤون الجوار، بل بسبب التصوّرات والسياسات والأحداث التاريخية والسياسية، والأفعال وردود الفعل التي تغيّر اتّجاه الأحداث في المنطقة".[28]

الخاتمة

على نطاق أوسع، إنّ ما يحرّك سياسة الجوار الإيرانية هو الهدف الشامل المتمثّل في إنشاء نظام إقليمي جديد. ووصولاً لهذه الغاية، تسعى الجمهورية الإسلامية إلى تحقيق عدد من الأهداف التي يمكن تصنيفها بشكلٍ عام على أنّها سياسية وأمنية وثقافية واقتصادية. وهذه السياسة هي المرة الأولى التي تقوم فيها الحكومة الإيرانية بالفعل منذ الثورة بصياغة نهج استباقيّ لسياستها الخارجية وتبنّيه إذ كانت السياسة الخارجية الإيرانية في الماضي في معظم الأحيان تفاعلية بسبب الاقتتال الداخلي بين الفصائل.[29] وفي عهد رئيسي، يبدو وكأنّ علاقات حسن الجوار وسياسة "التوجّه شرقاً" المكمّلة لها، قد حقّقت حتى الآن عدداً من أهدافها المعلَنة. تولّى الرؤساء الإيرانيون كافة منذ العام 1981 الرئاسة لولايتين متتاليتين. وباستثناء التطورات غير المتوقّعة، من المرجح أن يستمرّ نهج السياسة الخارجية الذي تبنّاه رئيسي أقلّه حتى العام 2029. وفي حال حدث ذلك بالفعل، من المرجّح أن تشهد إيران تعمّقاً إضافياً في العلاقات السياسية والاقتصادية، لا بل وربما تعاوناً أمنياً مع الدول المجاورة لها.

i. شغل محمد جمشيدي منصب النائب السياسي للمكتب الرئاسي ومستشار الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي.

يودّ المحرّران التنويه بأنّ العمل على هذا الملف اكتمل قبل الهجوم الإيراني بالطائرات المسيّرة والصواريخ على إسرائيل في 13 أبريل. وكانت الضربات أول هجوم مباشر لطهران على إسرائيل، والذي اعتُبِر كردّ انتقامي على الغارة الإسرائيلية على القنصلية الإيرانية في دمشق في 1 أبريل. يقدّم هذا الملف نظرة معمّقة على إيران ورؤيتها السياسية، ولا يعكس التحليل التطوّرات الأخيرة.

إنّ الآراء الواردة في هذه المقالة تخصّ المؤلّف حصراً ولا تعكس رأي مجلس الشرق الأوسط للشؤون الدولية.

الهوامش

1. Amir-Abdollahian: The Thirteenth Government's" Neighborly Policy is Being Seriously Pursued" [in Persian], *Fars News Agency*, May 30, 2023, accessed February 1, 2024, https://bit.ly/3Pplzth.
2. Timeline of Iran-Saudi Relations," *Wilson Center*," January 5, 2016, https://bit.ly/49eh64M.
3. Iran President Condemns Saudi Execution, Em-" bassy Attack," Reuters, January 3, 2016, https://bit.ly/48hWqr6.
4. Zhou Xin, "Iran Blames Saudi Arabia for Recent Unrest," *Xinhua Net*, January 2, 2018, http://bit.ly/3nH6Y1k; Jim Krane, "Saudi Arabia Gloats over Iran Unrest While Quietly Preparing for Anti-Government Protests of Its Own," *Forbes*, January 9, 2018, http://bit.ly/3KCULE8.
5. Ben Hubbard, "Saudi Crown Prince Likens Iran's Supreme Leader to Hitler," *The New York Times*, March 14, 2018, http://bit.ly/3Gn4xHl.
6. Jeffrey Goldberg, "Saudi Crown Prince: Iran's Supreme Leader 'Makes Hitler Look Good,'" *The Atlantic*, April 2, 2018, http://bit.ly/40LI3lO; IISS, *Iran's Networks of Influence in the Middle East*, Strategic Dossier, (London: The International Institute for Strategic Studies, November, 2019), 121–158, http://bit.ly/43dsuv9.
7. Strings Attached? Experts Probe Jordan's $2.5" Billion Saudi Aid Package," *Al Bawaba*, June 21, 2018, https://bit.ly/3UCVlXT.
8. Ali Akbar Assadi, "Saudi Arabia's Foreign Policy: Sources, Goals, and Challenges," *Strategic Studies Quarterly* 20, no. 75, (April 2017): 115, https://quarterly.risstudies.org/article_48009.html?lang=en.
9. Husain Musavian, "Details of the Agreement between Iran and Saudi Arabia" [in Persian], *Eco-Iran*, March 22, 2023, http://tinyurl.com/yns6b9v3; Mohammad Sadeq Kushki, "The Future of Our Relations with Al-Saud" [in Persian], *Mashreq News*, March 11, 2023, https://bit.ly/3GlhDWc.
10. Kristian Coates Ulrichsen, Qatar and the Gulf Crisis, (London:Hurst,2020.
11. Hamid Soroush, Hosein Ahmadi, and Mohammd Ali Basiri, "The Consequences of the Crisis in Saudi Arabia-Qatar Relations for Iran's Interests in the Persian Gulf, 2010-2022" [in Persian], *World Politics Quarterly* 11, no. 1 (July 2022): 181, http://doi.org/10.22124/wp.2022.22488.3039.
12. Nicole Grajewski, "Iran's Hormuz Peace Endeavor and the Future of Persian Gulf Security," *European Leadership Network*, July 7, 2020, http://bit.ly/3zB2jkh.
13. Ibid.
14. Mehran Kamrava, "Institutions and Policy in Iran's Relations with the GCC," *The Muslim World* 111, no. 3 (Summer 2021), https://doi.org/10.1111/muwo.12403.
15. Merve Ayşe Kizilaslan, "Saudi-Iranian Diplomacy Has Begun to Intensify. What Does It Signify?," *TRT World*, October 4, 2021, https://bit.ly/3Ghswlv.
16. Marc Lynch, "Does the Decline of U.S. Power Matter for the Middle East?" *The Washington Post*, March 19, 2019, https://bit.ly/3N5WYIh.
17. Kali Robinson, "Syria Is Normalizing Relations with Arab Countries. Who Will Benefit?," *Council on Foreign Relations*, May 11, 2023, https://bit.ly/3P6og3G.
18. Mostafa Hashem, "Mixed Messages and Basic Conditions ... The Chances of the Saudi-Iranian Talks" [in Arabic], *Alhurra*, September 23, 2021, https://shorturl.at/jmB48; Salman Bin Abdulaziz Al-Saud, "Saudi Arabia – King Addresses General Debate, 76th Session," UN Web TV, September 22, 2021, https://webtv.un.org/en/asset/k15/k15xkx0xft.
19. Parisa Hafezi, Nayera Abdallah and Aziz El Yaakoubi, "Iran and Saudi Arabia Agree To Resume Ties In Talks Brokered by China," Reuters, March 11, 2023, https://bit.ly/3UHMd4b.
20. Behind the Scenes Negotiations Between Iran and" Bahrain" [in Persian], *Nameh News*, March 15, 2023, https://bit.ly/462UJOC.
21. Iran Appoints First UAE Ambassador Since 2016" as Gulf Relations Improve," Reuters, April 5, 2023, https://bit.ly/3HZ7T4c.
22. Martyrdom of Two Border Guards in Attacks by Ter-" rorist Groups" [in Persian], *Tasnim News Agency*, July 20, 2022, https://bit.ly/3qFJdIE.
23. Sardar Kowthari: Dispute between Iran and the" Taliban Is a 'Family Dispute'/'Military Option' Is out of the Question/ Definitely, Issues Will Be Resolved through 'Dialogue'" [in Persian], *Khabar Online*, May 28, 2023, https://bit.ly/462fNEQ.
24. Interior Minister: The Conflict on the Afghan Border" Was a Brief Conflict; Resolved" [in Persian], *Fararu News*, May 29, 2023, https://bit.ly/3X2YUFL.
25. Amir-Abdollahian: We have Reached Certain Agree-" ments with Saudi Arabia" [in Persian], *Tasnim News Agency*, October 8, 2021, http://bit.ly/3MlcOja.
26. Mohammad Jamshidi, "Iran's Neighborhood Policy Has Been Successful in the Last One Hundred Days" [in Persian], *Borna News*, December 11, 2021, https://bit.ly/3Ug1OFV.
27. Mohammad Taqi Hosseini, "Good Neighborhood Policy and the Necessity of Confidence Building in the Persian Gulf" [in Persian], *Siyasat-e Khareji* 35, no. 3 (November 2021): 37, https://bit.ly/4bBoVmx.
28. Ibid., 37.
29. Mehran Kamrava, "Iranian National-Security Debates: Factionalism and Lost Opportunities,," *Middle East Policy* 14, no. 2 (Summer 2007), https://doi.org/10.1111/j.1475-4967.2007.00299.x.

العلاقات الإيرانية السورية وسط ديناميات إعادة الضبط الإقليميّ

حميد رضا عزيزي

مجلس الشرق الأوسط للشؤون الدولية

حميد رضا عزيزي هو زميل غير مقيم في مجلس الشرق الأوسط للشؤون الدولية، وزميل زائر في المعهد الألماني للشؤون الدولية والأمنية، وهو أيضاً باحث مشارك في معهد كليندال الهولندي للعلاقات الدولية. وكان عزيزي قبل ذلك زميلاً مشاركاً في مركز الشرق للأبحاث الاستراتيجية في العام 2022. وقد حاضر في عددٍ من الجامعات الإيرانية، مثل جامعة طهران (2016-2018) وجامعة شهيد بهشتي (2016-2020). وتشتمل مواضيع بحثه على القضايا الأمنية والجيوسياسية في منطقة الشرق الأوسط والمنطقة الأوروبية الآسيوية، وعلى سياسة إيران الخارجية والأمنية، فضلاً عن العلاقات الإيرانية الروسية.

المقدّمة

توطّدت العلاقة بين إيران وسوريا بشكلٍ ملحوظ منذ اندلاع الثورة الإسلامية في إيران في العام 1979. وقد ترسّخ هذا التحالف أكثر فأكثر في خلال الحرب الأهلية السورية، التي بدأت في العام 2011. وطوال تلك الفترة، برزت إيران كمؤيّدٍ ثابت للرئيس السوري بشار الأسد، وقدّمت لنظامه دعماً عسكرياً ومالياً كبيراً.[1] ولم يكن هذا الدعم المطلق دليلاً على تحالف النظامين فحسب، بل مؤشّراً على مصالح إيران الإستراتيجية في المنطقة على حدّ سواء.[2]

وفي الآونة الأخيرة، شهد الشرق الأوسط تحوّلات دبلوماسية وجيوسياسية ملحوظة. وبرزت ثلاثة توجّهات محورية لعمليّة إعادة الضبط الإقليميّ، يمكن لكلّ منها إعادة تشكيل ديناميّات العلاقات الإيرانية السورية. أولاً، شكّلت عودة سوريا إلى جامعة الدول العربية في مايو 2023 نقطة مرحلية في التطبيع بين البلاد والدول العربية.[3] ثانياً، أشار تحسّن العلاقات بين المنافسَين الإقليميَين، إيران والمملكة العربية السعودية، في مارس 2023، إلى بداية عهد جديد من العلاقات الدبلوماسية المحتملة.[4] والواقع أنّ هاتين الديناميتين مترابطتان بشكل وثيق؛ فالقرار الذي اتّخذه القادة الإيرانيون والسعوديون بتعزيز العلاقات سهّل عودة سوريا إلى جامعة الدول العربية. وأخيراً، أدخل توجّه الدول العربية المتزايد نحو تطبيع العلاقات مع إسرائيل[5] بُعداً جديداً للحسابات الإقليمية.

ويهدف هذا الفصل بشكلٍ أساسي إلى البحث في تداعيات توجّهات إعادة الضبط الإقليميّ هذه على العلاقات بين إيران وسوريا. وتقوم الحجّة الأساسية على أنّه في حين تمنح علاقات الأسد المزدهرة مع الدول العربية سوريا المزيد من الاستقلال الذاتي عن إيران، إلّا أنّها لا تعني بالضرورة تقلّص النفوذ الإيراني في سوريا، وتحديداً في المجالين العسكري والأمني.

في هذا السيناريو المتغيّر، من المرجّح أن تستغلّ إيران العلاقات المتجدّدة مع نظرائها العرب – وتحديداً سوريا – لتعزيز مكانتها الإقليمية وإضفاء الشرعية عليها. ومع ذلك، فإنّ العداء المشترك بين طهران ودمشق تجاه إسرائيل يتناقض بشكل صارخ مع التطبيع العربي الإسرائيلي، ما قد يصعّب انخراط الدول العربية في سوريا.

التطبيع السوري العربي

في مايو 2023، استعادت سوريا، بعد طول انتظار، مقعدها في جامعة الدول العربية[6] بعد تعليق عضويّتها لما يقارب الاثني عشر عاماً. وهذا التطوّر المهم – الذي أعقب عقداً من الفظائع التي ارتكبها نظام الأسد بحقّ مواطنيه على نطاق واسع[7] – يرمز إلى تردّد قبول معظم الدول العربية لحكومة الأسد كممثل رسمي لسوريا.

لم يكن قرار جامعة الدول العربية بإعادة عضوية سوريا بمثابة تأييد لنظام الأسد بقدر ما كان اعترافاً بالحقائق الجيوسياسية التي لا يمكن تفاديها والتي شكّلتها سيطرته المستمرّة على السلطة. كما سلّطت هذه الخطوة الضوء على الاختلاف في وجهات النظر بين العالم العربي والغرب إزاء معالجة الأزمة السورية المستمرّة.[8] يُضاف إلى ذلك الاختلاف في المواقف بين بلدان المنطقة، حيث حافظت قطر (وبدرجة أقل الكويت[9]) على موقفها المعارض من إعادة العلاقات مع نظام الأسد.[10]

ومن وجهة نظر إيران، أثار هذا التطوّر أسئلة مثيرة للاهتمام. ففي حين يرى عددٌ من المحلّلين أنّ قبول الدول العربية لنظام الأسد كان مدفوعاً في المقام الأول بالرغبة في موازنة نفوذ إيران في دمشق، يعرض آخرون وجهة نظر مغايرة.[11] وفي الواقع، اعتبرت طهران عودة سوريا إلى جامعة الدول العربية بمثابة إعادة تأكيد على شرعية سوريا و"استعادة قوّتها".[12] كما سلّطت وسائل الإعلام الرسمية في إيران الضوء على دور طهران المؤثّر في تسهيل عودة سوريا إلى جامعة الدول العربية.[13]

وكان توقيت قرار جامعة الدول العربية جديراً بالملاحظة بشكل خاص، حيث جاء في أعقاب اتفاق تاريخي بين إيران وخصمها الإقليمي الرئيسي، المملكة العربية السعودية، أنهى سبع سنوات من العداء العلني. ومن المحتمل أن يكون هذا التقارب قد شكّل أساساً لقبول سوريا من جديد في جامعة الدول العربية.

وبشكل عام، جاء موقف طهران الرسمي بشأن عودة سوريا إيجابياً. وأشاد المتحدّث باسم الخارجية الإيرانية ناصر كنعاني بهذه الخطوة ووصفها بأنّها داعمة "للاستقرار الشامل والسلام" في المنطقة.[14] وبالمثل، شدّد علي أصغر خاجي، كبير مستشاري وزير الخارجية الإيراني، على فوائد عودة سوريا للأمن الإقليمي.[15]

ومع ذلك، يضع هذا المشهد المتغيّر إيران أمام مجموعة من الفرص والتحدّيات. صحيح أنّ عودة سوريا إلى جامعة الدول العربية من شأنها أن تعزّز انتعاشها الاقتصادي، ما قد يوفّر لإيران سبلاً للتعاون الاقتصادي مع عددٍ من الدول العربية، إلّا أنّها تنطوي على مخاوف كامنة. والأهم من ذلك، يمكن لمزيد من الانخراط العربي في سوريا أن يطغى على مصالح إيران الاقتصادية.[16] بالإضافة إلى ذلك، لقد أثار احتمالُ تأثير الدول العربية في الحكومة السورية للحدّ من الأنشطة العسكرية الإيرانية في المنطقة، أو للتطبيع مع إسرائيل،[17] المخاوفَ في طهران، حتى لو كانت النتيجة الأخيرة تبدو بعيدة المنال وسط الحرب في غزة. باختصار، صحيح أنّ عودة سوريا إلى جامعة الدول العربية قد لا تغيّر مشروع إيران في سوريا بشكل جذري، إلّا أنّها تستدعي إعادة ضبط إستراتيجيات طهران في مواجهة التحدّيات الجديدة.

المصالحة الإيرانية السعودية

شكّل استئناف العلاقات بين إيران والمملكة العربية السعودية في مارس 2023 حدثاً مهمّاً على الساحة الدبلوماسية الإقليمية. تاريخياً، أدّى التنافس بين القوّتين إلى توتّرات، حيث رسمت مواقفهما المختلفة معالم الكثير من الصراعات والتحوّلات في السلطة في أنحاء الشرق الأوسط كافّة.

بالنسبة إلى سوريا، تتأتّى عن هذه المصالحة نتائج متعدّدة. من الممكن أن تساهم العلاقات الدبلوماسية المتجدّدة بين إيران والمملكة العربية السعودية في تخفيف التوتّرات بين سوريا والبلدان العربية المجاورة لها. وبوجود إيران في الصورة، قد تحظى سوريا بمزيد من الفرص للتعامل مع الدول العربية الأخرى. وقد أعرب النظام السوري علناً عن دعمه للتقارب الإيراني السعودي، إذ اعتبره نذيراً للاستقرار الإقليمي.[18] علاوة على ذلك، يؤكّد استعداد إيران لتيسير التعاون بين دمشق والرياض على التزام طهران بتعزيز علاقات أقوى بين حليفتها الوثيقة، سوريا، والدول العربية على نطاق أوسع.[19]

ومع ذلك، ونظراً لأنّ إيران لم تعد تواجه درجة التنافس نفسها من الدول العربيّة المجاورة لها، قد تميل أكثر إلى تعزيز نفوذها في سوريا وفي أنحاء المنطقة كافة بحزم أكبر. بيد أنّه من المرجّح أن تسعى طهران جاهدة إلى عدم تحدّي مصالح الدول الخليجيّة بشكل مباشر. ومن الممكن أن ترى الولايات المتحدة وإسرائيل، نفوذ إيران في سوريا على أنّه تهديدٌ لمصالحه الأمنية.

علاوة على ذلك، في حين قد تعزّز المصالحة التعاون الاقتصادي في سوريا بين إيران والدول العربيّة، غير أنّها لا تضمن بالضرورة تقليص وجود إيران العسكري في سوريا. ولطالما أعربت الدول الخليجية عن مخاوفها بشأن نفوذ إيران العسكري في سوريا ودعمها لمختلف الميليشيات. ومن غير المرجّح أن تتبدّد هذه المخاوف بين ليلة وضحاها، حتى مع تحسّن العلاقات الدبلوماسية.

وبالتالي، وعلى الرغم من أنّ التقارب السعودي الإيراني يبدو واعداً في الظاهر، إلّا أنّه ينطوي على شبكة معقّدة من الفرص والتحدّيات أمام سوريا. صحيح أنّه يفسح المجال أمام التعاون الاقتصادي والسياسي، إلّا أنّه يُبرز كذلك توازن القوى الدقيق في المنطقة. وستحدّد السنوات المقبلة ما إذا كانت هذه المصالحة ستؤدّي إلى حقبة جديدة من الاستقرار أو ستُبرز تحدّيات جديدة في سوريا والمنطقة.

تطبيع العلاقات بين الدول العربية وإسرائيل

تنعكس عمليّة تطبيع العلاقات الجارية بين عدد من الدول العربية وإسرائيل كذلك على مصالح إيران ودورها في سوريا. وقد افتتحت اتفاقات أبراهام هذه العملية في العام 2020، لتتصدّرها[20] الإمارات العربيّة والبحرين، وتبعتها دول عربية أخرى بتوطيد علاقاتها مع إسرائيل وتسعى دول أخرى لذلك. ولكن لم تركب الدول العربية

كلّها هذه الموجة، إذ امتنعت كلّ من قطر[21] والكويت[22] عن تطبيع العلاقات مع إسرائيل، ولا يبدو أنّ ذلك سيتغيّر في أي وقت قريب.

ومع ذلك، سيكون لعملية التطبيع العربي الإسرائيلي بلا شك انعكاسات على العلاقات الإيرانية السورية. وفي الوقت الذي يحاول فيه بعض الدول العربية الأخرى الاصطفاف مع إسرائيل وسوريا في وقت واحد، قد تواجه الدول العربية صعوبة متزايدة في دعم الحكومة السورية في تشكيلتها الحالية، نظراً لتحالفها السياسي والعسكري الوثيق مع إيران، التي تعارضه إسرائيل بشدّة.

بالمقابل، قد تعتبر إيران سوريا قيمة إستراتيجية أهم وسط توجّه دول المنطقة نحو التطبيع مع إسرائيل، ما يؤدّي إلى ترسيخ النفوذ الإيراني بشكل أعمق في سوريا. ومن شأن ذلك أن يفاقم التوتّرات بين إيران وإسرائيل، ما قد يجرّ سوريا إلى معركة. وجاءت الحرب الأخيرة في غزة لتزيد من الأمور تعقيداً. علّقت الحرب مؤقّتاً المناقشات حول التطبيع بين إسرائيل والسعودية، إلّا أنّها لم توقفها تماماً. ولكن على أي حال، تمثّل حرب غزة تذكيراً صارخاً بالمشاكل القديمة التي تعانيها المنطقة والتي قد تدفع الدول العربية لتوخّي المزيد من الحذر في نهجها تجاه إسرائيل.

وبالتالي، في حين تنذر عملية تطبيع العلاقات بين الدول العربية وإسرائيل بعهد جديد من التعاون، إلّا أنّها تفرض تحديات جديدة على حدّ سواء. ويؤكّد إحجام عدد من الدول مثل قطر والكويت عن التطبيع، جنباً إلى جنب مع تداعيات حرب غزة، على بقاء الديناميات الإقليمية غير ثابتة ومعقّدة، إذ تقع العلاقات الإيرانية السورية في قلب الكثير من الأحداث الجارية.

الخاتمة

يقف الشرق الأوسط على أعتاب تحوّلات جذريّة. وتقع ثلاثة توجهات محوريّة لعمليّة إعادة الضبط الإقليمي في صميم هذه التغييرات: عودة سوريا إلى جامعة الدول العربية، والتقارب بين إيران والمملكة العربية السعودية، وعمليّة تطبيع العلاقات بين الدول العربيّة وإسرائيل. وينعكس كلٌّ من هذه التطورات على ديناميات العلاقات الإيرانية السورية إلى حدّ بعيد.

أولاً، تفسّر طهران إعادة سوريا إلى جامعة الدول العربية على أنّها اعترافٌ على نطاق أوسع بنظام بشار الأسد، والأهم من ذلك، تأييدٌ لـ"محور المقاومة" المدعوم من إيران. ومن هذا المنظور، لا تعزّز عودةُ سوريا مكانةَ إيران في سوريا فحسب، بل تضفي الشرعية على إستراتيجيّتها الإقليمية الأوسع على حدّ سواء.

وفي الوقت عينه، تتوقّع إيران أن تعزّز مصالحتُها مع السعودية نفوذَها في سوريا. وبوجه خاص، يمكن أن تمهّد الطريق أمام التعاون مع الدول العربية في إعادة بناء الاقتصاد السوري الذي مزّقته الحرب. ويمكن لإيران، من خلال البناء على دعمها القديم للأسد، أن تضع نفسها كجهة فاعلة رئيسية في إعادة إعمار سوريا، مستهدفة قطاعات إستراتيجية مثل البنية التحتية والطاقة.

ومع ذلك، يمثّل التوجّه المتزايد نحو تطبيع العلاقات بين الدول العربية وإسرائيل تحدّياً لإيران، خاصة في ظل الحرب في غزة. فبالنسبة إلى طهران، تثبت الحرب أهمية الحفاظ على تأييد سوريا لموقفها المناهض لإسرائيل. ويخدم هذا التحالف غرضاً مزدوجاً: فهو يتعارض مع التطبيع العربي الإسرائيلي ويحافظ على سوريا كحليف أساسي في إستراتيجية إيران الإقليمية الأوسع. ومع ذلك، وفي الوقت عينه، قد يقود تكثيف العلاقات العربية الإسرائيلية سوريا في نهاية المطاف إلى صراعات مباشرة، ما يزيد من تعقيد الديناميات الإقليمية.

وحتى الآن، حافظت دمشق على موقف منضبط من الصراع في غزة، مبتعدة عن الانخراط العسكري المباشر. غير أنّ تصاعد عمليات الميليشيات المدعومة من إيران ضدّ مصالح واشنطن، والذي دفع الولايات المتحدة إلى الرد على هذه الميليشيات في شرق سوريا وفي العراق، قد برهن أنّ الصراع يمكن أن يمتدّ بسهولة إلى الأراضي السورية.[23] ويمكن أن يكون الأسد قد أمل أنّه من خلال عدم المشاركة المباشرة في الحرب، يمكن لسوريا أن تتجنّب مزيداً من عدم الاستقرار فضلاً عن التورّط في الصراعات الإقليمية. ومن شأن هذه الإستراتيجية

أن تسمح لها بالحفاظ على اصطفافها مع موقف إيران المناهض لإسرائيل من دون تفاقم وضعها الداخلي غير المستقر أساساً أو المخاطرة بمواجهة مباشرة. ولكن حتّى هذه المقاربة قد تتغيّر في المستقبل، وخاصة في حال عزّز الأسد سيطرته على بقية الأراضي السورية واكتسب ثقة أكبر بفضل شرعية نظامه الدبلوماسية المتزايدة.

وبشكل عام، تجبر هذه التطورات إيران على تبنّي موقف أكثر حزماً في سوريا. ولا تحرص طهران على الحفاظ على نفوذها في البلاد فحسب، بل على توسيعه أيضاً. تطرح هذه التوجهات معضلة إستراتيجية كبيرة أمام الدول العربية، إذ يشكّل تحقيق التوازن بين علاقاتها المتنامية مع دمشق وتحسين العلاقات مع طهران مقابل علاقاتها مع إسرائيل تحدّياً متزايداً. كما وأنّ مصالحها الوطنية الفردية والتيّارات الجيوسياسية الأوسع التي ترسم مسار المنطقة تجعل عملية التوازن هذه أكثر تعقيداً.

علاوة على ذلك، يلقي احتمال زيادة التوتّرات بين إيران وخصومها، لا سيما الولايات المتحدة وإسرائيل، بظلاله على مستقبل سوريا. وتخاطر البلاد ببقائها ساحة معركة لصراعات القوى الإقليمية، ما يقوّض إمكانيّة تحقيقها الاستقرار والتعافي. باختصار، تشير العلاقة المتطوّرة بين إيران وسوريا – على خلفية التحالفات الإقليمية المتغيّرة والإستراتيجيات الجيوسياسية – إلى المصالح المعقّدة التي ترسم معالم الشرق الأوسط. وفي ظلّ هذه التوجّهات، ستطال انعكاساتها البعيدة المدى ليس إيران وسوريا فحسب، بل المنطقة بأكملها.

يودّ المحرّران التنويه بأنّ العمل على هذا الملف اكتمل قبل الهجوم الإيراني بالطائرات المسيّرة والصواريخ على إسرائيل في 13 أبريل. وكانت الضربات أول هجوم مباشر لطهران على إسرائيل، والذي اعتُبِر كردّ انتقامي على الغارة الإسرائيلية على القنصلية الإيرانية في دمشق في 1 أبريل. يقدّم هذا الملف نظرة معمّقة على إيران ورؤيتها السياسية، ولا يعكس التحليل التطوّرات الأخيرة.

إنّ الآراء الواردة في هذه المقالة تخصّ المؤلّف حصراً ولا تعكس رأي مجلس الشرق الأوسط للشؤون الدولية.

الهوامش

1. Shahram Akbarzadeh, William Gourlay, and Anoushiravan Ehteshami, "Iranian Proxies in the Syrian Conflict: Tehran's 'Forward-Defence' in Action," Journal of Strategic Studies 46, no. 3 (June 2023): 683–706, https://doi.org/10.1080/01402390.2021.2023014.
2. Hassan Ahmadian and Payam Mohseni, "Iran's Syria Strategy: The Evolution of Deterrence," *International Affairs* 95, no. 2 (March 2019): 341–364, https://doi.org/10.1093/ia/iiy271.
3. Aziz El Yaakoubi and Samia Nakhoul, "Syria's Assad Wins Warm Welcome at Arab Summit after Years of Isolation," Reuters, May 20, 2023, https://www.reuters.com/world/middle-east/syrias-assad-attend-arab-summit-bringing-regional-isolation-an-end-2023-05-19/.
4. Parisa Hafezi, Nayera Abdallah and Aziz El Yaakoubi, "Iran and Saudi Arabia Agree to Resume Ties in Talks Brokered by China," Reuters, March 11, 2023, https://www.reuters.com/world/middle-east/iran-saudi-arabia-agree-resume-ties-re-open-embassies-iranian-state-media-2023-03-10/#:~:text=DUBAI%2FRIYADH%2C%20March%2010%20(,East%20from%20Yemen%20to%20Syria.
5. "The Abraham Accords," Bureau of Near Eastern Affairs of the U.S. Department of State, accessed February 4, 2024, https://www.state.gov/the-abraham-accords/.
6. El Yaakoubi and Nakhoul, "Syria's Assad Wins Warm Welcome at Arab Summit."
7. "World Court Rules Against Syria in Torture Case: Urgent Measures Ordered to Stop Abuses," Human Rights Watch, November 16, 2023, https://www.hrw.org/news/2023/11/16/world-court-rules-against-syria-torture-case.
8. Matthew Lee, "US, UK Oppose Syria's Re-admission to Arab League," *Associated Press*, May 9, 2023, https://apnews.com/article/us-uk-syria-arab-league-blinken-cleverly-679cce36f7f1418d3ed4ccb30f2e98de.
9. Leonardo Mazzucco, Syria's Normalization and the GCC: *Adjusting to A New Modus Vivendi*, Policy Analysis, (Washington, D.C.: Fikra Forum of the Washington Institute for Near East Policy, May 10, 2023), https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/syrias-normalization-and-gcc-adjusting-new-modus-vivendi.
10. "Qatar Says It Will Not Normalise with Syria after 10 Arab League Reinstates Assad Regime," *The New Arab*, May 8, 2023, https://www.newarab.com/news/qatar-says-it-will-not-normalise-assads-syria.
11. Giorgio Cafiero and Emily Milliken, "Analysis: How Important Is Syria's Return to the Arab League?," *Al Jazeera*, May 19, 2023, https://www.aljazeera.com/news/2023/5/19/analysis-how-important-is-syrias-return-to-the-arab-league.
12. Mohammad Mehdi Maleki, "Lasjerdi: Syria's Return to the Arab League Is Followed by 'Revival of Power,'" *Islamic Republic News Agency*, May 9, 2023, https://www.irna.ir/news/85104727.
13. "Iran's Support Was Fundamental in Syria's Return to the Arab League," *Alalam*, May 26, 2023, https://fa.alalam.ir/news/6627013/.
14. Nasser Kanaani, "The Islamic Republic of Iran Welcomes Syria's Success in Achieving Its Position in the Arab League," Ministry of Foreign Affairs of the Islamic Republic of Iran, May 8, 2023, https://mfa.gov.ir/portal/newsview/719712.
15. Masoumeh Poursadeghi, "The Relations between the Arab Countries and Damascus Are for the Benefit of the People and the Security of the Region," *Islamic Republic News Agency*, May 14, 2023, https://www.irna.ir/news/85111314.
16. Hamidreza Azizi and Leonid Issaev, *Russian and Iranian Economic Interests in Syria* (Pre-2010 and Intra-War Period), Discussion Paper no. 8, (Geneva: The Geneva Centre for Security Policy and Omran Center for Strategic Studies, May 2019), https://dam.gcsp.ch/files/2y10nlGNuebJ3zh4kU5wS7N66uuFm35TYDmJjO9jyzKVQYbDoO7vybkfq.
17. Anshel Pfeffer, "Arab Rapprochement with Syria's Assad Works for Israel Too," *Haaretz*, November 17, 2021, https://www.haaretz.com/us-news/2021-11-17/ty-article/.premium/why-arab-rapprochement-with-syrias-assad-works-for-israel-too/0000017f-e20e-d9aa-afff-fb5ec67a0000.
18. "Bashar Assad's Reaction to the Agreement between Iran and Saudi Arabia," *Khabar Online*, March 16, 2023, https://www.khabaronline.ir/news/1743996.
19. "From Now On, Saudi Arabia Will Deal with Syrian Issues through Iran," *Iranian Students' News Agency*, accessed February 5, 2023, https://www.isna.ir/news/1402061107370.
20. مكتب شؤون الشرق الأدنى بوزارة الخارجيّة الأمريكيّة، "اتفاقات أبراهام"
21. "Qatari Foreign Minister Rules Out Normalization with Israel," *The Times of Israel*, February 2, 2022, https://www.timesofisrael.com/qatari-foreign-minister-rules-out-normalization-with-israel/.
22. "Kuwait Says It'll Be 'Last to Normalize' with Israel, Will Stand by Palestinians," *The Times of Israel*, August 16, 2020, https://www.timesofisrael.com/kuwaiti-officials-reject-israel-normalization-reaffirm-support-for-palestinians/.
23. Phil Stewart, Idrees Ali and Timour Azhari, "U.S. launches strikes in Iraq, Syria, nearly 40 reported killed," Reuters, February 4, 2024, https://www.reuters.com/world/us-launches-retaliatory-strikes-iraq-syria-nearly-40-reported-killed-2024-02-03/.

مسار العلاقات الإيرانية السعوديّة: الفرص والتحدّيات

فاطمة الصمادي

باحثة أولى في مركز الجزيرة للدراسات

فاطمة الصمادي هي باحثة أولى في مركز الجزيرة للدراسات، حيث تشرف على البحوث المتعلّقة بإيران وتركيا ووسط آسيا، وهي حائزة على درجة الدكتوراه في العلوم الاجتماعية من جامعة العلامة طباطبائي في إيران، وعملت كأستاذة مساعدة في عدد من الجامعات الأردنية. كما قامت بتأليف عدد من الكتب والأوراق البحثية وتحريرها، أبرزها "استطلاع الرأي: توجهات النخبة العربية نحو إيران ودورها في المنطقة"، "التيارات السياسية في إيران"و "نساء في معترك السياسة، التقارب الإيراني الأمريكي: مستقبل الدور الإيراني، مستقبل الدور الإيراني، وجدل الحجاب في إيران بين الديني والسياسي.

المقدّمة

في مارس 2023، اتّفقت السعودية وإيران على استئناف العلاقات الدبلوماسية.[1] ومع ذلك، تشير أحداث أخرى أخيرة إلى أنّ الطريق ما زال طويلاً أمام العلاقات الإيرانية السعودية. ففي يونيو 2023، طلبت المملكة العربية السعودية تغيير مكان عقد مؤتمر صحفي مشترك، إذ ظهرت في الغرفة صورة لقائد فيلق القدس الإيراني الراحل، الجنرال قاسم سليماني.[2] وتكرّر هذا المشهد عندما انسحب فريق الاتحاد السعودي لكرة القدم من مباراة كانت ستجمعه بفريق سباهان الإيراني في ملعب أصفهان، إذ يحوي مجسّماً لسليماني. ما استدعى تعليقاً من وزير الخارجية الإيراني، نتج عنه اتخاذ قرار بإعادة جدولة المباراة.[3]

إنّ تصاعد خلاف رياضي ليصل إلى نزاع دبلوماسي، والاحتكاك المستمرّ بعد اتفاق مارس 2023، يشيران إلى أنّ نجاح العلاقة السعودية الإيرانية يحتاج إلى أكثر من مجرّد نوايا حسنة. ولا تزال طبيعة العلاقة التنافسية والصراعية بين البلدين تلقي بظلالها. وتشمل نزاعاتهما التنافس الإقليمي على المكانة والنفوذ على مستوى العالم الإسلامي. ويستكشف هذا الفصل نجاحات التقارب السعودي الإيراني وإخفاقاته، ومحدّداته، فضلاً عن آثاره المحتملة على القضايا الإقليمية..

تاريخ العلاقات السعودية الإيرانية: الثوابت والمتغيّرات

منذ الثورة الإسلامية، تأثّرت سياسة إيران الخارجية بعوامل معيّنة بغض النظر عن الاتجاهات السياسية. وفي حين تبنّى كلّ رئيس من رؤساء البلاد نهجاً مختلفاً، إلّا أنّ علاقة البلاد مع المملكة العربية السعودية بقيت أولوية. وشكّلت الحرب الإيرانية العراقية فترة أوّلية من الصراع العلني بين طهران والرياض. وفي أعقاب الحرب، وفي عهد الرئيس أكبر هاشمي رفسنجاني، دخلت العلاقات الإيرانية السعودية مرحلة جديدة، حيث تحوّلت من صراع إلى تنافس على النفوذ ضمن نظام إقليميّ معقّد. فقد حمل غزو العراق للكويت في العام 1990، والهزيمة التي لحقت بالعراق عقب ذلك، تغييرات جوهريّة على ميزان القوى. وفي خلال ولايتَي رفسنجاني وخليفته محمد خاتمي، حصلت إيران على مزايا في منظمة التعاون الإسلامي ومنظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك)..

ومع ذلك، ظلّت العلاقات السعودية الإيرانية محكومة بمتغيّرَين مهمَّين. أوّلاً، أدّت مضاعفة الوجود العسكري الأمريكي بشكل غير مسبوق في الدول الخليجية إلى التوتّر مع طهران. ثانياً، بدت سياسة "الاحتواء المزدوج"[i] التي اعتمدتها الولايات المتحدة تجاه إيران والعراق ملائمة للسعودية.[4] وعلى هذا النحو، أصبحت طهران مقتنعة بأنّ الرياض تساهم في تعزيز العداء الدولي تجاه أنشطتها النووية، ما يضرّ بمكانتها في سوق النفط العالمية.[5]

وشكّلت التصوّرات بالتهديد المتبادل سبباً آخر للتوتّر بين البلدين. فقد اعتبرت إيران أنّ المملكة العربية السعودية تسهّل وجود الولايات المتحدة السياسي والأمني في المنطقة، وتساهم في تطبيق العقوبات الاقتصادية ضدّ إيران، كما تتعاون بشكل عام لتقويض دور إيران الإقليمي. بالمقابل، اعتبرت الرياض انخراط طهران النشط في القضايا الإقليمية – وفي طليعتها القضية الفلسطينية – تهديد أيديولوجي وأمني..

مبادرات باءت بالفشل

على الرغم من المبادرات المتعدّدة التي أطلقها الرئيس السابق محمود أحمدي نجاد، عجزت مقاربته للسياسة الخارجية عن الحد من التوتّرات. ويعود الأمر أساساً إلى التصعيد الطائفي في العراق وتأجيج التنافس في لبنان وأفغانستان. وفي ديسمبر 2007، حضر أحمدي نجاد القمّة الثامنة والعشرين لمجلس التعاون الخليجي التي عُقدت في العاصمة القطرية الدوحة، حيث شكّلت دعوة رئيس إيراني سابقةً أولى من نوعها.[6] وفي العام نفسه، دعا العاهل السعودي الملك عبد الله بن عبد العزيز الرئيس الإيراني لأداء فريضة الحج، وقد اعتُبِرَت هذه الدعوة سابقة أخرى في تاريخ العلاقات بين البلدين.[7]

i. صاغت إدارة الرئيس الأمريكي بيل كلينتون هذه السياسة تجاه إيران والعراق، في محاولة منها لإضعاف البلدين في الوقت نفسه. وسمحت هذه السياسة للولايات المتحدة بفرض حظر تجاري واستثماري على إيران، وتحديداً في قطاع الطاقة، ردّاً على دعم إيران للمجموعات الفلسطينية المعارضة لعملية السلام الإسرائيلية الفلسطينية.

بيد أنّ العلاقات بين البلدين ظلّت متوتّرة. وكشفت وثائق مسرَّبة أنّ العاهل السعودي دعا الولايات المتحدة إلى ضرب إيران و"قطع رأس الأفعى" لمنعها من مواصلة برنامجها النووي.[8] ولا يمكن فصل لهجة هذه الوثائق – المتمثّلة بالحذر والخوف والشكّ – عن السرديات والتصوّرات التي يتبنّاها الإيرانيون والشعوب العربية.[9]

وعندما وصل روحاني إلى السلطة، أعطى الأولوية لإصلاح العلاقات مع الغرب. ودعا المعتدلون في الحركة الإصلاحية إلى تحسين العلاقات مع واشنطن، وجزم بعضهم أنّه لا يمكن حلّ القضايا الاقتصادية الإيرانية من دون معالجة هذه المعضلة. [10] ومع ذلك، تعرّض هذا التوجّه لضربة قاصمة على يد الرئيس الأمريكي دونالد ترامب الذي انسحب من خطة العمل الشاملة المشتركة وأعاد فرض العقوبات.[11] علاوة على ذلك، وعلى الرغم من اقتراح مبادرة "الأمل" مع الدول الخليجية، لم يمنح روحاني الأولوية للعلاقات الإقليمية.[12] ويمكن اعتبار ذلك اختلافاً جوهرياً بين مقاربته والسياسة الخارجية التي تبنّاها رئيسي إلى جانب سياسة "الجوار".

قضايا خلافية قائمة

اتّخذت طهران والرياض حتى اليوم خطوات دبلوماسية ملحوظة من خلال تبادل الزيارات والبعثات الدبلوماسية الرفيعة المستوى. ومع ذلك، يهيمن الحذر على عملية التقارب، فضلاً عن عدد من القضايا الهامة التي لم تحسم بعد، والتي لا يمكن فصلها عن العلاقات بين البلدين.

التنافس الإقليمي

قد يشكّل التنافس الإقليمي، وتحديداً نفوذ إيران الإقليمي، إحدى العقبات الرئيسية التي تعيق بناء علاقات حميدة. فقد نتجت عنه توترات على مدى عقود من الزمن، وتجلّت عواقبه الكبيرة في العراق وسوريا واليمن ومنطقة الخليج. فعلى سبيل المثال، التزم رئيسي بمواصلة تعزيز نفوذ إيران الإقليمي. وشكّلت هذه القضية عنواناً بارزاً في مناظراته الانتخابية وتصريحاته عقب انتخابه، ووردت في برنامجه الانتخابي للعام 2017. بالإضافة إلى ذلك، ألهمت أيديولوجية المرشد الأعلى علي خامنئي رئيسي على التركيز على تعزيز الأمن القومي الإيراني، من بين سياسات رئيسية أخرى. بالإضافة إلى ذلك، يؤكّد خامنئي أنّ قوة الردع الإيرانية، بما في ذلك صواريخها، غير قابلة للتفاوض، إذ أنّها جلبت الولايات المتحدة والغرب إلى طاولة المفاوضات.[13]

ولذلك، لا تزال تشكّل هذه المسألة مصدراً لخلاف جوهري بين إيران والدول الخليجية، وبالأخص السعودية. فما تعتبره إيران عامل استقرار، تراه الدول المجاورة لها استفزازاً. وعلى وجه التحديد، يهدف ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان إلى خلق رادع جماعي ضد إيران، وتطويقها جيوسياسياً. وعلى الرغم من الانقسامات والتردّدات الداخلية التي تشهدها المملكة العربية السعودية، إلّا أنّ إسرائيل تؤدّي أيضاً دوراً في علاقة الرياض مع إيران.[14]

ورأت إدارة روحاني أنّ الإتفاق النووي مع الغرب سيسهم في تخفيف حدّة التوتر بين إيران والمملكة العربية السعودية. إلّا أنّ الرياض هدّدت باستهداف البلاد مباشرة لدعمها الحوثيين في اليمن. ففي العام 2018، دعا محمد بن سلمان إلى زيادة الضغوط والعقوبات على إيران في مقابلة مع صحيفة وول ستريت جورنال، مبرّراً ذلك على أنّه خيارٌ لتجنب الحرب: "إن لم ننجح في ما نحاول أن نفعله، فعلى الأغلب سندخل في حرب مع إيران خلال الـ 10 إلى الـ 15 سنة القادمة".[15]

وتدخّلت السعودية في اليمن لتحقيق مجموعة من الأهداف، أبرزها القضاء على النفوذ الإيراني. لكن لم يتحقّق أي من أهداف "عاصفة الحزم"، خاصة تلك المتعلّقة بإيران وجماعة الحوثيين. وأدّت هذه الخطوات إلى تصعيد الاحتكاك بين إيران والسعودية، ووجدت الرياض نفسها تغرق في المستنقع اليمني المكلف في مواجهة التهديد الحوثي المتزايد. وربما كانت هذه الديناميات، ورغبة الرياض في الخروج من الحرب، من العوامل التي دفعت بالإتفاق مع طهران بعد سبع سنوات من قطع العلاقات.

الأزمات

يرتبط عدد من الأزمات في المنطقة بقضية التنافس بين القوتين على المكانة والنفوذ، وممّا لا شك فيه أنّ حلّها سيكون صعباً. وتشكّل الأزمات المستمرّة في اليمن وسوريا أمثلة بارزة على ذلك. لا يزال لبنان يمرّ باضطرابات سياسية، على الرغم من أنّه قد يكون للتقارب الإيراني السعودي المستمر تأثيراً إيجابياً، وخاصة على الصعيد الاقتصادي. وعلى الرغم من الأدوار التي يؤدّيها الطرفان في تصعيد هذه الأزمات، تطرأ شكوك كبيرة حول قدرتهما على حلّها، نظراً لتعقيدها، ومستوى الدمار في البلدان التي تعاني هذه الأزمات، فضلاً عن مشاركة جهات فاعلة متعدّدة ذات مصالح متضاربة.[16]

الملف النووي الإيراني

ولم يفضِ الاتفاق النووي في العام 2015 إلى تحسّن في العلاقات بين السعودية وإيران. علاوة على ذلك، قد يؤدّي الفشل في إحياء الاتفاق النووي إلى تصعيد يؤدّي بدوره إلى دخول المنطقة في سباق نووي. ويعيق عددٌ من القضايا الرئيسية إحياءَ الاتفاق النووي. وسيشكل أكتوبر 2025 تاريخاً فاصلاً بالنسبة إلى الملف النووي الإيراني، إذ ينتهي أجل قرار الأمم المتحدة المؤطر للإتفاق النووي.[17]

بالإضافة إلى ذلك، ترتبط مسألة التزام إيران بفتوى تحريم إنتاج الأسلحة النووية بتصاعد التهديد. وفي حال أصبحت ضربة عسكرية ضد إيران وشيكة، فقد تختار الانسحاب من معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية وإعادة النظر في موقفها السابق لتتجه نحو إنتاج أسلحة نووية. وفي نهاية المطاف، ستكون عواقب الانسحاب من الاتفاق النووي خطيرة وقد تسفر عن آثار سلبية على المنطقة. ولذلك، من الضروري تعزيز الجهود الدبلوماسية لمواجهة تحديات الملف النووي الإيراني، وهو محور مهم في أي خارطة طريق للعلاقات بين طهران والرياض.

العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية

عقب انتخاب رئيسي رئيساً لإيران، أجرى اتصالاً هاتفياً مع أمير قطر الشيخ تميم بن حمد آل ثاني. وفي هذه المحادثة، سلّط الرئيس الإيراني الضوء على الحاجة إلى "الأمن الجماعي"، واصفاً إياه كجزء أساسي من "عقيدة السياسة الخارجية الإقليمية" لإدارته.[18] إذ يعتبر أنّه يمكن للأمن الجماعي إرساء "السلام والاستقرار" في المنطقة.[19]

يتطلّب تحقيق الأمن الجماعي، من وجهة نظر إيران، القضاء على تدخّل القوى الأجنبية في علاقات إيران مع الدول المجاورة لها.[20] ولا يقتصر هذا الموقف على رئيسي فحسب، بل هو ثابت في السياسة الخارجية الإيرانية. على سبيل المثال، دعا روحاني في السابق الدول الخليجية إلى تولّي أمنها بنفسها من دون "تدخّل أجنبي".[21] ويرتبط ذلك بشكل أساسي بهدف إيران المعلَن المتمثّل في إخراج القوات الأمريكية من المنطقة بعد اغتيال قاسم سليماني في أوائل العام 2020. ويزيد هذا الهدف من تعقيد مسألة تحقيق الاستقرار والأمن إذ أنّه شرط ضروري لتحسين العلاقات مع الدول المجاورة لإيران. كما أنّه يثير تساؤلات حول جدواه في منطقة تحتلّ المرتبة الثانية من حيث الوجود العسكري الأمريكي، بعد الولايات المتحدة نفسها، وحيث تتمتّع الحكومات بعلاقات قوية مع واشنطن بينما تشهد العلاقات الإيرانية الأمريكية أزمة مستمرّة.[22]

ومع ذلك، قد تقوم المملكة العربية السعودية بصياغة سياسة خارجية مستقلّة عن الخطوط التي رسمها التحالف الطويل مع واشنطن. وذكرت وثيقة مسرّبة حصلت عليها صحيفة ذي واشنطن بوست أنّ ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان هدّد بفرض تكلفات اقتصادية كبيرة على الولايات المتحدة في حال ردّت على خفض إنتاج النفط السعودي.[23] وعلى الرغم من هذه المؤشرات، قد يكون من السابق لأوانه وصف هذه السياسة بأنّها خروج الرياض عن التزاماتها كحليف للولايات المتحدة، ويظل النفوذ الأمريكي عاملاً حاسماً في تشكيل مسار العلاقات السعودية الإيرانية.

عقبة التطبيع والموقف من إسرائيل

تعرقل مسألة التطبيع بين إسرائيل وعدد من دول المنطقة، وتحديداً الإمارات العربية المتحدة، مستقبل العلاقات السعودية الإيرانية. فهي تعزّز التصوّر السائد في طهران بأنّ بعض الدول الخليجية يشكّل تهديداً أمنياً متزايداً. ما يرجّح المقاربة الأمنية القائمة التي تتّبعها إيران، والتي قد تطغى على نموذج الأمن الجماعي إذا ما توسّع الوجود الإسرائيلي في المنطقة.

وفي حين يميل بعض الإيرانيين إلى غض الطرف عن علاقات الإمارات العربية المتحدة المتنامية مع إسرائيل – حيث أنّها الشريك الاقتصادي الأكبر لإيران في الخليج – إلّا أنّ المرشد الأعلى الإيراني ومؤيّديه المؤثّرين يتبنّون وجهة نظر مختلفة. وعقب إعلان التطبيع الإماراتي الإسرائيلي، أدان آية الله خامنئي القرار بشدّة، ووصفه بأنّه "خيانة" للعالم الإسلامي.[24]

علاوة على ذلك، لم تتوصّل الأوساط السياسية الإيرانية إلى إجماع حول أسباب التقارب السعودي الإيراني. فمنهم من يرى أنّ السعودية تسعى إلى كسب الوقت، إذ أنّ إستراتيجيتها تجاه إيران لم تتغيّر. فيما يرى آخرون أنّ إيران تحاول، من خلال التقارب، إبطاء وتيرة ما يبدو على أنّه تطبيع سعودي إسرائيلي حتمي. وفي حين يعتقد البعض أنّ التطبيع بين تل أبيب والرياض من شأنه أن يدفع إيران إلى تصعيد الصراعات الإقليمية، يبدو من غير المرجح أن تسعى إيران إلى إثارة رد فعل كبير على الرغم من أي مواقف سياسية.

ويرى قاسم محب علي، المدير العام السابق لشؤون الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في وزارة الخارجية الإيرانية، أنّ الهدف السعودي من تحسين العلاقات مع إيران هو تقليل تكلفة تطبيع العلاقات مع إسرائيل، مؤكّداً أنّ العلاقات مع إسرائيل أكثر أهمية لبن سلمان من العلاقات مع إيران.[25]

وفي ما يتعلّق بالقضية الفلسطينية، يبدو التباين واضحاً في المقاربتين. ففي حين تدعم إيران حركات المقاومة الفلسطينية، بما في ذلك حماس والجهاد الإسلامي وتدعم خيار المقاومة المسلّحة، تصنّف المملكة العربية السعودية حماس كمنظّمة إرهابية.[26] ويرتبط هذا بشكل أساسي بموقف المملكة من الإسلام السياسي ونظرتها إلى حماس باعتبارها امتداداً لحركة الإخوان المسلمين، التي عارضتها المملكة العربية السعودية منذ الربيع العربي. وفي أحسن الأحوال، تسعى الرياض إلى تحقيق مكاسب سياسية في فلسطين مقابل التطبيع. وبينما تتحدّث القيادة الإيرانية عن زوال إسرائيل، تدعو الأوساط السعودية إلى اعتبار تل أبيب جزءاً من نظامها الأمني والاقتصادي الإقليمي.

ولعلّ المواجهة الأخيرة بين حماس وإسرائيل مؤشّر واضح على صعوبة هذه القضية ومحوريتها. وستشكّل عاملاً حاسماً في نجاحها أو فشلها. وبينما ترفض إيران بشدّة التطبيع مع إسرائيل، تشير تقارير إلى أنّ الرياض قد تقبل التسويات وتوسيع العلاقة مع تل أبيب.[27] لذلك، فمن المرجح أن تستمرّ مسألة التطبيع الإسرائيلي في التأثير في مستقبل العلاقات السعودية الإيرانية.

الخاتمة

أصبح التقارب بين الرياض وطهران الآن حاجة ملحّة بالنسبة إلى إيران المنهكة اقتصادياً والدول الخليجية المجاورة لها مع ما يواجهها من تحدّيات أمنية. وسيبقى ملف النفوذ الإيراني الإقليمي يطل برأسه بين الفينة والأخرى، لأنّ البلاد ليست على استعداد للتخلي عن النفوذ الذي يوفّره "محور المقاومة"، ولا المملكة العربية السعودية مستعدّة لقبوله.

والسؤال المهم الذي سيطرح نفسه في المستقبل هو حول إمكانية التوصّل إلى حلّ، الأمر الذي سيتطلّب أكثر من مجرّد تبادل السفراء. إنّ التوصّل إلى حلّ حقيقي سيتطلّب خطة عمل مشتركة بمراحل زمنيّة تفصيلية ومحدّدة، من شأنها أن تعالج بفعّالية الملفّات الإقليمية وأن تخفّف من التصعيد للحدّ من تداعيات هذه الأزمات وتبعاتها.

يودّ المحرّران التنويه بأنّ العمل على هذا الملف اكتمل قبل الهجوم الإيراني بالطائرات المسيّرة والصواريخ على إسرائيل في 13 أبريل. وكانت الضربات أول هجوم مباشر لطهران على إسرائيل، والذي اعتُبِر كردّ انتقامي على الغارة الإسرائيلية على القنصلية الإيرانية في دمشق في 1 أبريل. يقدّم هذا الملف نظرة معمّقة على إيران ورؤيتها السياسية، ولا يعكس التحليل التطوّرات الأخيرة.

إنّ الآراء الواردة في هذه المقالة تخصّ المؤلّف حصراً ولا تعكس رأي مجلس الشرق الأوسط للشؤون الدولية.

الهوامش

1. Parisa Hafezi, Nayera Abdallah and Aziz El Yaakoubi, "Iran and Saudi Arabia Agree to Resume Ties in Talks Brokered by China," Reuters, March 11, 2023, https://www.reuters.com/world/middle-east/iran-saudi-arabia-agree-resume-ties-re-open-embassies-iranian-state-media-2023-03-10/#:~:text=DUBAI%2FRIYADH%2C%20March%2010%20(,East%20from%20Yemen%20to%20Syria.
2. Ehsan Mehrabi, "Saudi Minister Nixes Press Conference in Room with Suleimani Photo," *IranWire*, June 19, 2023, https://iranwire.com/en/politics/117670-saudi-minister-nixes-press-conference-in-room-with-suleimani-photo/.
3. "Iran FM Warns Against Turning Sports into Political Lever," *IRNA*, October 4, 2023, https://en.irna.ir/news/85247241/Iran-FM-warns-against-turning-sports-into-political-lever.
4. Richard Murphy, Differentiated Containment: *U.S. Policy Toward Iran and Iraq*, (Washington, D.C.: Council on Foreign Relations, July 1, 1997), https://cdn.cfr.org/sites/default/files/pdf/1998/09/Differentiated_Containment.pdf.
5. Keyhan Barzegar, "Iran-Saudi Relations during the Rouhani Era" [in Persian], *Donyaye Eghtesad*, July 23, 2013, http://tinyurl.com/3e9dx8f4.
6. "Iran calls for security cooperation in Gulf," *New York Times*, November 3, 2007, https://www.nytimes.com/2007/12/03/world/africa/03iht-iran.3.8570254.html.
7. "Saudi king invites Ahmadinejad for haj-media," Reuters, December 12, 2007, https://www.reuters.com/article/idUSBLA252556/.
8. Ross Colvin, "'Cut Off Head of Snake' Saudis Told U.S. on Iran," Reuters, November 29, 2010, https://www.reuters.com/article/us-wikileaks-iran-saudis-idUSTRE6AS02B20101129/.
9. فاطمة الصمادي، "إيران ووثائق ويكي ليكس في ظاهرة ويكي ليكس: جدل الإعلام والسياسات بين الافتراضي والواقع، [معد] هدى حوا (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012)، 532-490، https://www.dohainstitute.org/ar/BooksAndJournals/Pages/art258.aspx
10. فاطمة الصمادي، السياسات الخارجية لروحاني: من "حلقة نياوران" إلى فشل "الانخراط البناء"، مجلة لباب، العدد 0.(نوفمبر 2018): 73-42، https://studies.aljazeera.net/ar/magazines/book-1283.
11. Mark Landler, "Trump Abandons Iran Nuclear Deal He Long Scorned," *The New York Times*, May 8, 2018, https://www.nytimes.com/2018/05/08/world/middleeast/trump-iran-nuclear-deal.html.
12. Hassan Rouhani, "Hope Initiative: We Seek Mutual Cooperation with the Countries of the Persian Gulf Region" [in Persian], Online Video, Hassan Rouhani, recorded July 1, 1998, accessed October 7, 2023, http://tinyurl.com/7m52ycbe.
13. Erin Cunningham and Kareem Fahim, "Raisi says Iran's ballistic missiles are 'not negotiable' — and he doesn't want to meet Biden," The Washington Post, June 21, 2021, https://www.washingtonpost.com/world/2021/06/21/iran-nuclear-power-plant-bushehr/.
14. Stephen Kalin, Summer Said, and Felicia Schwartz, "Saudi Royal Family Divides Over Potential Embrace of Israel," *The Wall Street Journal*, September 18, 2020, https://www.wsj.com/articles/saudi-royal-family-split-relations-israel-uae-bahrain-mbs-prince-king-11600446560.
15. Margherita Stancati, "Saudi Prince Calls for Stepped-Up Pressure on Iran," *The Wall Street Journal*, March 29, 2018, *https://www.wsj.com/articles/saudi-prince-calls-for-stepped-up-pressure-on-iran-1522365518*.
16. فاطمة الصمادي، "هل من خارطة طريق للعلاقات السعودية الإيرانية؟"، مركز الجزيرة للدراسات، 6 سبتمبر 2023، https://studies.aljazeera.net/ar/article/5734.
17. "Nuclear Agreement – JCPOA," European Union External Action Service, August 18, 2021, https://www.eeas.europa.eu/eeas/nuclear-agreement-%E2%80%93-jcpoa_en.
18. "Raisi says 'collective security' forms backbone of his foreign policy doctrine," *Tehran Times*, June 25, 2021, https://www.tehrantimes.com/news/462412/Raisi-says-collective-security-forms-backbone-of-his-foreign.
19. Ibid.
20. Ibid.
21. Bill Chappell, "Iran's Rouhani Touts Gulf Peace Plan, Says It Would Start With U.S. Troops Leaving," *NPR*, September 25, 2019, https://www.npr.org/2019/09/25/764151698/irans-rouhani-touts-gulf-peace-plan-says-it-would-start-with-u-s-troops-leaving.
22. فاطمة الصمادي، "إيران والجوار الخليجي: هل من فرصة لنجاح مقولة رئيسي حول "الأمن الجماعي؟" الشرق للأبحاث الاستراتيجية، 6 يوليو 2021، https://research.sharqforum.org/2021/07/06/iran-and-the-gulf/.
23. John Hudson, "Saudi crown prince threatened 'major' economic pain on U.S. amid oil feud," *The Washington Post*, June 8, 2023, https://www.washingtonpost.com/national-security/2023/06/08/saudi-arabia-cut-oil-production/.
24. "Iran's Khamenei says UAE 'betrayed' Muslim world with Israel deal," *Al Jazeera*, September 1, 2020, https://www.aljazeera.com/news/2020/9/1/irans-khamenei-says-uae-betrayed-muslim-world-with-israel-deal.
25. "Mohebali, Former Director-General of the Middle East at the Ministry of Foreign Affairs: The Saudis' Goal Is to Establish Relations with Iran" [in Persian], *Iran Watch*, October 7, 2023, http://tinyurl.com/5arsyjwz.
26. "Gulf Arab States Label Hezbollah a Terrorist Organization," Reuters, March 2, 2016, https://www.reuters.com/article/us-gulf-hezbollah-idUSKCN0W40XF/.
27. "Israel Latest: Saudi Minister Says Talks on Ties Still on Table," *Bloomberg News*, November 7, 2023, https://www.bloomberg.com/news/articles/2023-11-07/israel-latest-conflict-at-month-mark-with-no-signs-of-slowing.

دور إيران في حرب اليمن: الأثر الحقيقي والمكاسب الإقليمية

فوزي الغويدي

زميل زائر مبتدئ

فوزي الغويدي هو زميل زائر مبتدئ في مجلس الشرق الأوسط للشؤون الدولية ويحمل ماجستير في التاريخ من معهد الدوحة للدراسات العليا في قطر. تشمل اهتماماته البحثية التاريخ الحديث في اليمن والخليج، بالإضافة إلى الحركات الاجتماعية وحلّ الصراعات وتشكيل الدولة. وساهم في البحث والتحليل حول الديناميكيات السياسية والاجتماعية التي تشكّل اليمن والخليج، والعلاقات بينهما. وقد ألّف الغويدي عشرات المقالات المنشورة في مواقع ثقافية وبحثية عربية متعدّدة.

المقدّمة

برزت إيران في السنوات العشرة الأخيرة كلاعبٍ إقليمي رئيسي في الشأن اليمني، كما ارتبط ذكرُها بجماعة أنصار الله (الحوثيين) وبأنّها الداعم الأساسي للجماعة التي اتّهمتها أطرافٌ متعدّدة أنّها وكيلتها في اليمن ضد النفوذ السعودي. كذلك، يكثر الحديث في الدوائر السياسية والبحثية عن النفوذ الإيراني في اليمن الذي اتّخذ ثلاثة اتجاهات: الأول هو تضخيم حجم النفوذ الإيراني في اليمن واعتبار جماعة الحوثي أحد وكلائها في المنطقة. ويدعم هذا الاتجاه الحكومة المعترف بها دولياً وحلفاءها من المملكة العربية السعودية.[1] بينما ينفي الاتجاه الثاني – والذي يمثّل موقف ايران ومناصريها – أنّ العلاقة بين إيران وجماعة الحوثي علاقة تبعية، ويرى أنّ الحوثيين كيانٌ يمثّل الجمهورية اليمنية وأنّ العلاقة بينهما لا تتعدّى التوافق في الأهداف والرؤى والمواقف.[2]

أمّا الاتجاه الثالث، فيتمحور حول العلاقة المعقّدة بين إيران والحوثيين. لقد استخدمت الجماعة صواريخ إيرانية وطائرات بدون طيار وأسلحة أخرى "إيرانية"،[3] إلّا أنّه ليس واضحاً ما إذا كانت علاقة تبعية محض أو علاقة بينية تقوم على مصالح مشتركة. وتوضّح محدّدات أخرى شكل العلاقة التي نشأت قبل سيطرة الحوثيين على صنعاء وتعزّزت بعد أن شنّ التحالف العربي بقيادة المملكة العربية السعودية عاصفة الحزم في مارس 2015.[4]

وعلى الرغم من ذلك، يرى البعض أنّ تأثير إيران في حرب اليمن يبقى محل نقاش،[5] وعلى الرغم من المصالحة الإيرانية السعودية التي توسّطت الصين في تحقيقها في مارس 2023، لم تقدّم إيران أي تنازلات مهمّة في الملف اليمني ولم تتغيّر الشروط التي طرحها الحوثيون.[6] بينما يجادل بعض المحللين بأنّ المصالحة الإيرانية السعودية ستفتح آفاق السلام في اليمن – حيث أنّ الحوثيين قد يقدّمون تنازلات تحت ضغط إيراني – من غير المرجّح أن يحدث ذلك على المدى القصير.[7]

ولإيضاح هذه التعقيدات وتقديم مقاربة توضّح دور إيران في اليمن ومدى تأثيره المحلي ومكاسبه الإقليمية، يناقش الفصل في قسمه الأول سياسة إيران الخارجية ودوافعها في اليمن، وبناءً عليه يتطرّق القسم الثاني إلى العلاقة بين الحوثيين وإيران ويطرح السؤال ما إذا كانوا وكلاء إيران أم حلفاءها. أمّا القسم الأخير، فيبيّن نفوذ إيران في المنطقة وتأثيرها في حرب اليمن.

سياسة إيران الخارجية ودوافعها في اليمن

تتشكّل سياسة إيران الخارجية من دورها الإقليمي النشط[8] ومعارضتها لإسرائيل والغرب، بالإضافة إلى سعيها لإيجاد بديل سياسي قادر على تغيير المعادلة لصالح شعوب المنطقة بدلاً من أن تكون لصالح الحكومات المتوجّهة نحو الغرب.[9] تجدر الإشارة إلى أنّ بروز سلطة مركزية ضعيفة ووجود أطراف نشطة غير راضية قد مكّنا إيران من التدخّل في الشؤون الإقليمية، كما حدث في لبنان وأفغانستان في ثمانينات القرن الماضي، وفي العراق بعد الغزو الأمريكي، وفي اليمن بعد الربيع العربي.

وتدعم طهران مجموعات مسلّحة غير شيعية بسبب توافقها الأيديولوجي مع الركيزة الثانية لسياسة إيران الخارجية، أي مع معارضتها لإسرائيل والغرب. ويمنح موقع اليمن الجغرافي الإستراتيجي على طول أحد أهم الممرّات المائية في العالم، مضيق باب المندب، نفوذاً كبيراً على الشحن العالمي كجزء حاسم من هذه المعارضة. ومن أجل تعزيز نفوذها في البلاد، دعمت إيران في السابق الحراك الجنوبي المسلّح كعنصر أساسي في سياستها الإقليمية.[10] ولاحقاً، تماشت مصالح إيران في اليمن مع الحوثيين أكثر من الحراك الجنوبي؛ والأهم من ذلك، أنّ حركة الحوثي تعارض الولايات المتحدة بشكل نشط، على عكس بعض الجهات اليمنية الأخرى.[11] وعليه، فإنّ أي زيادة في قوة الحوثيين تعزّز نفوذ إيران الإقليمي. علاوة على ذلك، إنّ تنمية العلاقات مع هذه المجموعات قد سمحت لطهران بالسعي لتحقيق الركيزة الثالثة لسياستها الخارجية، بهدف إنشاء نظام سياسي بديل عبر "محور المقاومة".

وبخلاف ما هو متصوَّر، كانت العلاقات بين إيران والدولة الزيدية في شمال اليمن مطلع القرن العشرين محدودة للغاية، كما أنّها قدّمت دعماً محدوداً للإمام الزيدي محمد البدر إبان حربه مع الجمهوريين في

ستينيات القرن الماضي،[12] والتي انتهت بإقامة الجمهورية العربية اليمنية. ودرس بعض مؤسّسي حركة الحوثي، بما في ذلك حسين بدر الدين الحوثي، في الجمهورية الإسلامية ما بعد الثورة، ما يشير إلى تأثّرهم بالإيديولوجية الثورية الإيرانية.[13]

ومنذ أن أمسك الحوثي بزمام التنظيم في أواخر التسعينيات حتى تمرّد الحوثيين في 2004، لم يبرز أي دليل يشير إلى أنّ إيران قدّمت أي دعم للجماعة.[14] وتشير تقارير بأنّ أول دعم عسكري ومالي محدود حدث في العام 2009، ومن ثمّ بدأت كرة الثلج بالتدحرج.[15] أدركت إيران مبكراً أنّ دعم الحوثيين بشكل علني يمكن أن يؤدّي إلى تصاعد التوتّرات وصولاً إلى صدام مباشر مع السعودية، وهو سيناريو فضّلت طهران تجنّبه؛ ولكنّها حافظت على ارتباطها الهامشي مع الحوثيين.

إيران وجماعة الحوثي: وكلاء أم حلفاء؟

عادة ما يتكرّر النقاش حول العلاقة بين إيران والحوثيين. في حين يعتبر البعض الحوثيين وكلاء لإيران، يرفض آخرون وجهة النظر هذه، بينما يرى غيرهم أنّ الجماعة هي جهة فاعلة مستقلّة. ويبيّن هذا الفصل أنّ العلاقة بينهما مركّبة ومعقّدة، وتختلف مصالحهما باختلاف العوامل الدينية والسياسية والتاريخية. من الأنسب ألّا تُعتبر جماعة الحوثي وكيلة لإيران في اليمن، بل يجدر النظر إليها كقوى منظّمة تسعى لتحقيق أهدافها عبر سياسة براغماتية جعلتها تحوّل مواقفها بحسب أهدافها. وفي الوقت نفسه، استغلّت إيران صعود الحوثيين ليكونوا حلفاءها في اليمن.

تختلف نشأة الحوثيين عن المليشيات الأخرى الموالية لإيران، فهي لم يؤسّسها الحرس الثوري الإسلامي على غرار حزب الله اللبناني أو بعض الميليشيات العراقية. انبثقت جماعة الحوثي من قلب تنظيم "الشباب المؤمن" في أواخر تسعينيات القرن الماضي كحركة زيدية إحيائية للمذهب وللفكر الزيدي في شمال اليمن.[16] وسيطر حسين بدر الدين على الجماعة في العام 1999.[17]

بالإضافة إلى ذلك، ترتكز جماعة الحوثي على الإرث التاريخي للدولة الزيدية التي حكمت شمال اليمن لقرون عديدة حتى إسقاطها في ثورة سبتمبر الجمهورية عام 1962. انبثقت الحركة من التعاليم والأيديولوجية السياسية الزيدية،[18] بما في ذلك الالتزام بالثورة ضد الظلم. وفي حين أنّ حركة الحوثي متجذّرة في الأيديولوجية الزيدية، هي أيضاً حركة سياسية تقوم على الثورة ضد الظلم والإمبريالية.[19] وبالمثل، تأثّر الحوثيون بالنموذج الثوري الإيراني، القائم على السلطة السياسية الدينية. على سبيل المثال، كثيراً ما أشاد مؤسّس الجماعة، حسين الحوثي، بمقاومة الإمام الخميني للإمبريالية، وتبنّى شعارات من الثورة الإيرانية.[20] وفي نهاية المطاف، من الصعب أن نحدّد بشكل قاطع درجة الانتماء المذهبي بين الحوثيين وإيران.

وكما جاء في القسم السابق، لقد بدأ الدعم الإيراني للحوثيين حوالي العام 2009 وشهدت الأعوام التالية الدعم بالأسلحة والخبرات.[21] وقد نمت العلاقات بينهما بعد سيطرة الحوثيين على صنعاء في سبتمبر 2014، فقد زاد عدد رحلات الطيران بين صنعاء وطهران.[22] وفي مارس 2015، أعلن التحالف بقيادة السعودية، والذي خشي من سيطرة إيران على مضيق باب المندب، بدء عمليات عاصفة الحزم لطرد الحوثيين من عدن والضالع.[23] والمفارقة أنّ القوات الجنوبية التي قاتلت الحوثيين في الضالع ضمّت وحدات تتبع الزعيم الجنوبي علي سالم البيض كانت قد تلقّت التدريب والدعم من إيران[24] في وقت سابق قبل أن تنتهي العلاقة بين الطرفين بعد سيطرة الحوثيين على صنعاء.[25] بالتالي، يمكن الاستنتاج أنّ إيران سعت لإيجاد حليف في اليمن – مهما كانت أيديولوجيته – يضمن لها تحقيق مصالحها.

وقد تبنّت حركة الحوثيين سياسة براغماتية في مسار صعودها السياسي والعسكري؛ فنشأتها كانت بهدف الحفاظ على الأقلّية الزيدية وقد خاضت ست حروب مع الدولة لأجل ذلك الهدف. وفي إبان أحداث ثورة الشباب عام 2011 كانت تطالب بحقوق أبناء صعدة، وفي الحوار الوطني عام 2013، قدّمت نفسها كممثل لقبائل شمال الشمال. وبعد عاصفة الحزم، قدّمت الجماعة نفسها كممثل للشعب اليمني وثمّ كعضو فاعل في محور المقاومة أو الممانعة الذي يعارض الإمبريالية والصهيونية.[26]

وقد تبنّت حركة الحوثي براغماتية مماثلة في صعودها السياسي والعسكري. لقد نشأت بهدف الحفاظ على الأقلية الزيدية، وخاضت ست جولات من الصراع لتحقيق هذا الهدف. وفي العام 2011، قدّمت الحركة نفسها كمدافع عن شعب صعدة؛ ثمّ كممثل للقبائل الشمالية؛ وأخيراً بعد عاصفة الحزم كجهة رسمية تمثّل الشعب اليمني.[27]

بعد عاصفة الحزم، لم يكن للحوثيين حليف سوى إيران التي اعترفت به وتبادلت معه السفراء ومَدّته بالأسلحة النوعية والطائرات المسيّرة وطوّرت له منظومة الصواريخ.[28] وفي الوقت نفسه، استطاع الحوثيون بناء كيان له مؤسساته العسكرية والاقتصادية، بخاصةٍ بعد الاستيلاء على مؤسّسات الدولة اليمنية في شمال البلاد. وقد جعل ذلك من جماعة الحوثي رقماً صعباً في المنطقة واستطاعت أن تضرب أهدافاً إستراتيجية في السعودية والإمارات، ما غيّر قواعد اللعبة وميزان القوى. لم تتغيّر العلاقات بين إيران والحوثيين بعد المصالحة بين الرياض وطهران التي لم يتوقّف دعمها العسكري والسياسي للجماعة. ولكن إذا تغيرت محدّدات سياسة إيران الخارجية فحينها قد تتغيّر علاقتها بجماعة الحوثي.

نفوذ إيران في حرب اليمن ومكاسبها الإقليمية

لم تعترف إيران أبداً بتورّطها في حرب اليمن، لا بل تُنكر دعمها للحوثيين على الرغم من كل التقارير الدولية التي تثبت العكس.[29] ولكن مع عاصفة الحزم، تغيّرت قواعد اللعبة في اليمن. سعت المملكة العربية السعودية إلى تقليص النفوذ الإيراني في اليمن واحتواء الحوثيين، إلّا أنّ الحرب اشتدّت وتسبّبت في أزمة إنسانية حادّة، ومقتل عشرات الآلاف من المدنيين.[30] وقد دفع هذا بالبعض لاحقاً إلى إلقاء اللوم على السعودية لفشلها في منع الحوثيين من التحالف مع طهران.

بالتالي، رمت الحربُ الحوثيين في أحضان إيران وعمّقت العداء مع السعودية. وفي العام 2018، استخدمت روسيا حق النقض (الفيتو) ضد قرار للأمم المتحدة يدين إيران لانتهاكها حظر الأسلحة المفروض على الحوثيين.[31] وفي إشارة إلى أهمية اليمن المتزايدة بالنسبة إلى طهران، عُيِّن حسن إيرلو،[32] الذي يُقال إنّه ضابط في الحرس الثوري الإيراني، سفيراً لإيران في صنعاء في العام 2020.[33]

وبذلك، ضمنت إيران شريكاً فعّالاً لها في اليمن يزيد من نفوذها الإقليمي، في حين لم يكلّفها خسائر مادية كبيرة على عكس السعودية التي خسرت ملايين الدولارات في هذا الصراع.[34] لقد مدّت إيران الحوثيين بطائرات مسيّرة وصواريخ كروز،[35] فمكّنتهم من تهديد السفن المارّة عبر مضيق باب المندب، وبالتالي ممارسة الضغوط الدولية والتأثير في التجارة العالمية، من خلال تهديد السفن المارّة عبره.[36] وتستمرّ هذه التهديدات على الرغم من الحصار البحري المفروض على الحوثيين. في الواقع، ربما يكون المدى التقريبي لصواريخ الحوثيين المضادة للسفن قد زاد مقارنة بما كان عليه في العام 2017، كما هو مبيّن في الخريطة .

الرسم البياني 1: تهديد جديد فى اليمن

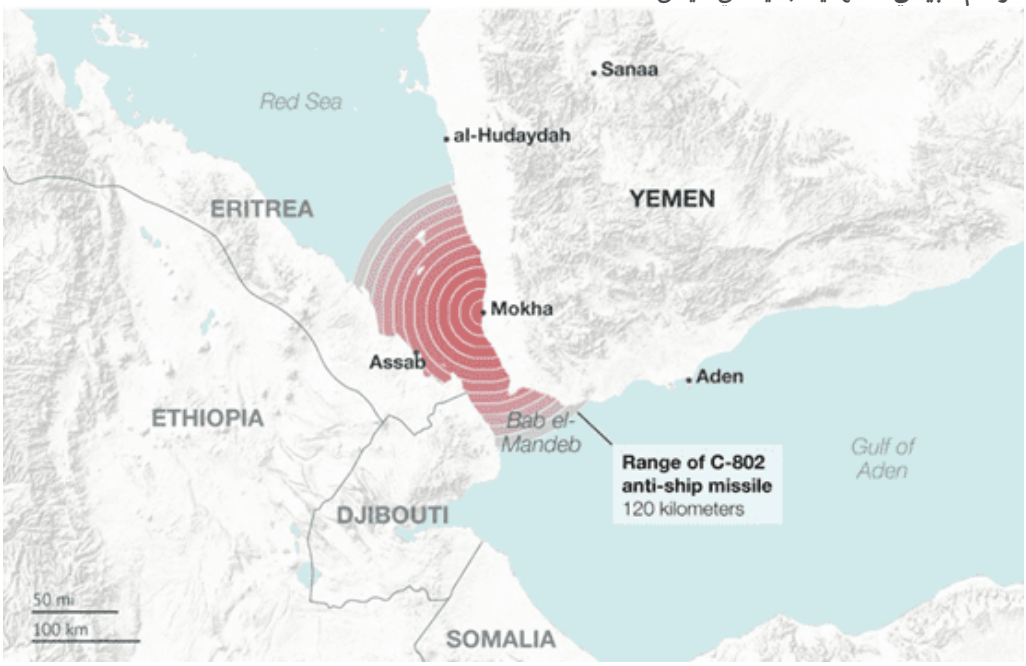

المصدر: [37] https://worldview.stratfor.com/article/new-threat-red-sea-shipping .

وتخدم قدرات الحوثيين وأسلحتهم البحرية مصالح إيران في البحر الأحمر، وهو منطقة حيوية للتجارة العالمية والأمن الإقليمي. ويستحوذ البحر الأحمر على نحو تسعة بالمئة من إجمالي حركة النفط العالمية ويمرّ عبره معظم طرق التجارة بين أوروبا والصين والهند.[38] وفي العام 2018، اعترف ضابط كبير في الحرس الثوري الإيراني، ناصر شباني، بأنّ منظّمته قد "أصدرت تعليمات للحوثيين بمهاجمة ناقلتَين نفطيتَين سعوديتين في البحر الأحمر، غرب ميناء [الحديدة] الإستراتيجي"،[39] ما دفع السعودية إلى تعليق مرور شحنات النفط لفترة معيّنة.[40]

وفي حين قد لا تستطيع إيران إيقاف حرب اليمن، لكنّها قد تساهم في تحقيق التهدئة. ويعود ذلك لطبيعة الصراع اليمني الذي تمتدّ جذوره للحروب الأهلية السابقة بين الأطراف المحلية حول السيطرة على السلطة. لذلك، فهي ليست حرباً بالوكالة أو حرباً طائفية كما تُصوَّر غالباً. صحيح أنّ التنافس الإقليمي المحموم بين إيران والمملكة العربية السعودية قد أشعل الصراع الداخلي، إلّا أنّه ليس ما يحرّكه. بالتالي، يمكن القول إنّ المسبّبات الرئيسية للصراع في اليمن هي محلّية وإنّ التدخّلات الإقليمية كانت بغرض الإبقاء على توازن القوى المحلّية للحفاظ على النفوذ السعودي للأهمية الكبرى التي يشكّله اليمن بالنسبة إليها، بينما هي ثانوية لإيران ولكنها تعطيها قيمة مضافة لنفوذها الإقليمي.

الخاتمة

لا شك في أنّ إيران استطاعت استمالة الحوثيين إلى صفّها عبر استثمار بسيط أدّى إلى نتائج فعّالة عزّز مكانتها الإقليمية وأثبت نجاح سياستها الخارجية. لكن في الوقت نفسه، لا يمكن التعامل مع جماعة الحوثي على أنّها بيدق لإيران ولا ينبغي تضخيم الطابع الطائفي للصراع، لأنّ في ذلك تسطيح للعلاقة وتجاهل لديناميتها ولأبعاد الارتباط التي أوضحها هذا الفصل. بل ينبغي التعامل مع الحوثيين من منظور دوافعهم وعلاقاتهم المحلّية التي تعطيهم أفضلية على الأطراف اليمنية الأخرى، وأضاف الدعم الإيراني إلى قدراتهم الإستراتيجية، الأمر الذي مكّن الحوثيين من تهديد الدول المجاورة وطرق الملاحة البحرية بما يخدم أهدافهم المحلّية وأهداف إيران الإقليمية

يودّ المحرّران التنويه بأنّ العمل على هذا الملف اكتمل قبل الهجوم الإيراني بالطائرات المسيّرة والصواريخ على إسرائيل في 13 أبريل. وكانت الضربات أول هجوم مباشر لطهران على إسرائيل، والذي اعتُبِر كردّ انتقامي على الغارة الإسرائيلية على القنصلية الإيرانية في دمشق في 1 أبريل. يقدّم هذا الملف نظرة معمّقة على إيران ورؤيتها السياسية، ولا يعكس التحليل التطوّرات الأخيرة.

إنّ الآراء الواردة في هذه المقالة تخصّ المؤلّف حصراً ولا تعكس رأي مجلس الشرق الأوسط للشؤون الدولية.

الهوامش

1. Farea Al-Muslimi, "Iran's Role in Yemen Exaggerated, but Destructive," The Century Foundation, May 19, 2017, https://tcf.org/content/report/irans-role-yemen-exaggerated-destructive/.
2. Ibid.
3. UN Panel of Experts on Yemen, transmitted by letter dated Jan. 26, 2018, established pursuant to Security Council Resolution 2140 (2014) addressed to the President of the Security Council, 1-329, U.N. Doc. S/2018/594 (Jan. 26, 2018), https://digitallibrary.un.org/record/1639536?ln=en&v=pdf#record-files-collapse-header.
4. Al-Muslimi, "Iran's Role in Yemen".
5. Ibid.
6. Heiko Wimmen et al., "Impact of the Saudi-Iranian Reconciliation on Middle East Conflicts," International Crisis Group, April 19, 2023, https://www.crisisgroup.org/middle-east-north-africa/gulf-and-arabian-peninsula/iran-saudi-arabia/impact-saudi-iranian.
7. Ibid.
8. Aisha Al Saad, *Determinants of Iranian Foreign Policy Toward the Gulf States in the Context of Iran Nuclear Negotiations* (Doha, Qatar: Arab Center for Research and Policy Studies, 2018), 109.
9. Mahjoob Zweiri,*Iran; muqarabat fi alsiyasat alkharijiat waldaakhilia* [Iran: Approaches to Foreign and Domestic Policy] (Beirut: Arab Scientific Publishers, 2020), 32.
10. Al-Muslimi, "Iran's Role in Yemen".
11. Kali Robinson, *Yemen's Tragedy: War, Stalemate, and Suffering*, Backgrounder (Washington, D.C.: Council on Foreign Relations, May 1, 2023), https://www.cfr.org/backgrounder/yemen-crisis.
12. Mohsen Milani, "Iran's Game in Yemen: Why Tehran Isn't to Blame for the Civil War," *Foreign Affairs*, April 19, 2015, https://www.foreignaffairs.com/articles/iran/2015-04-19/irans-game-yemen.
13. Nadwa Al-Dawsari, *The Ideological Underpinnings of the Houthis' Red Sea Attacks, Analysis*, (Washington, D.C.: Middle East Institute, January 22, 2024), https://www.mei.edu/publications/ideological-underpinnings-houthis-red-sea-attacks.
14. Adel al-Ahmadi, *Al-Zahr wa-l-Hajar: at-tamarud al-shi'i fi-l-yaman wa-mawqi' al-'aqaliyat a-shi'iyya fi-l-sinariyu al-jadid* [The Flower and the Stone: Shiite Rebellion in Yemen and the Position of Shiite Minorities in the New Scenario] (Sanaa, Yemen: Nashwan Alhemyari Center for Studies and Media, 2006), 127–183.
15. Kali Robinson, *Iran's Support of the Houthis: What to Know, Brief,* (Washington, D.C.: Council on Foreign Relations, March 1, 2024), https://www.cfr.org/in-brief/irans-support-houthis-what-know#:~:text=By%20some%20experts'%20estimations%2C%20Iranian,the%20year%20they%20captured%20Sanaa..
16. Ahmed Nagi, *Yemen's Houthis Used Multiple Identities to Advance*, (Beirut, Lebanon: Carnegie Middle East Center, March 19, 2019), https://carnegie-mec.org/2019/03/19/yemen-s-houthis-used-multiple-identities-to-advance-pub-78623.
17. Ibid.
18. Al-Dawsari, *The Ideological Underpinnings*.
19. Mohammed Almahfali and James Root, *How Iran's Islamic Revolution Does, and Does Not, Influence Houthi Rule in Northern Yemen*, Analysis Paper, (Sanaa, Yemen: Sana'a Center For Strategic Studies, February 13, 2020), https://sanaacenter.org/publications/analysis/9050.
20. Ibid.
21. Robinson, *Iran's Support of the Houthis*.
22. Mareike Transfeld, "Iran's Small Hand in Yemen," *Sada* (blog), February 14, 2017, https://carnegieendowment.org/sada/67988.
23. Five Years Since Decisive Storm," The Yemen Review," April 1, 2020, https://sanaacenter.org/publications/the-yemen-review/9518#Five_Years_Since_Decisive_Storm.
24. Al-Muslimi, "Iran's Role in Yemen".
25. "حقيقة العلاقة بين الحوثيين والحراك الجنوبي"، ياسر حسن، 10 أغسطس 2013، الجزيرة نت. https://n9.cl/46jkgb
26. Nagi, *Yemen's Houthis Used Multiple Identities*.
27. Ibid.
28. Robinson, *Iran's Support of the Houthis*.
29. Ibid.
30. Yemen Conflict Observatory (YCO) Database, "Yemen: Fatalities," ACLED and Yemen Data Project, accessed March 19, 2024, https://acleddata.com/yemen-conflict-observatory/#1700477750819-86f9adce-838d.
31. "روسيا تعرقل قراراً أممياً يدين دعم إيران للحوثيين"، موقع الجزيرة، https://cutt.us/UdHFd
32. توفي حسن إيرلو بعد تعيينه بعام بفيروس كورونا كما أعلنت الوزارة الخارجية الإيرانية بينما يشكّك آخرون بأنّ وفاته كانت في إحدى غارات التحالف أو تمّت تصفيته من قبل الحوثيين بسبب زيادة نفوذه. انظر: تقرير المصدر أونلاين https://cutt.us/Qa2gm
33. "أسوشيتد برس: مرض ايرلو وفّر فرصة للحوثيين من أجل المطالبة برحيله"، يمن فيوتشر. https://yemenfuture.net/news/6033.
34. "خسائر بالمليارات.. استنزاف السعودية في "الوحل اليمني""، 20 سبتمبر,2019، الجزيرة نت. https://www.aljazeera.net/politics/2019/9/30/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%B9%D9%88%D8%AF%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%8A%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%88%D8%AB%D9%8A%D9%8A%D9%86-%D8%B5%D9%88%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE
35. Fabian Hinz, "Little and Large Missile Surprises in Sanaa and Tehran," Military Balance (blog, International Institute for Strategic Studies), October 17, 2023, https://www.iiss.org/online-analysis/military-balance/2023/10/little-and-large-missile-surprises-in-sanaa-and-tehran/.
36. The Bab El-Mandeb Strait Is a Strategic Route for Oil and Natural Gas Shipments," U.S. Energy Information Administration, August 17, 2019, https://www.eia.gov/todayinenergy/detail.php?id=41073.
37. A New Threat to Red Sea Shipping," *Rane*, October 5, 2016, https://worldview.stratfor.com/article/new-threat-red-sea-shipping.
38. U.S. Energy Information Administration, "The Bab El-Mandeb Strait".
39. Micky Aharonson, "Iranian-Russian Cooperation in Yemen," Policy Paper, (Jerusalem: The Jerusalem Institute for Strategy and Security, March 1, 2019), https://jiss.org.il/en/aharonson-mansharof-iranian-russian-cooperation-in-yemen/.
40. "السعودية تعلّق مرور شحنات النفط عبر باب المندب بعد هجمات للحوثيين"، رانيا الجمل، رويترز 16 يوليو,2018، https://cutt.us/Lq9CF.

إيران ودورها المتغيّر في الجغرافيا السياسية العراقية: من التنافس إلى التحالف

مهند سلوم

أستاذ مساعد في الدراسات الأمنية النقدية في معهد الدوحة للدراسات العليا

مهند سلوم هو أستاذ مساعد في الدراسات الأمنية النقدية في معهد الدوحة للدراسات العليا، وباحث في وحدة الدراسات الإستراتيجية في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. وهو أيضاً زميل بحث فخري في معهد الدراسات العربية والإسلامية في جامعة إكستر في المملكة المتحدة، حيث حاضر بين العامين 2016 و2018. وتشمل مجالات تخصصه الرئيسية الأمن القومي، والدراسات الاستخباراتية، والدراسات العسكرية والإستراتيجية، ومكافحة الإرهاب. وهو يعمل حالياً على مشروع بحثي بعنوان "Covert Currents of the Cradle: A History of Iraq's Intelligence".

المقدّمة

في سياق المشهد الجيوسياسي المعقّد في الشرق الأوسط، تمثّل العلاقة بين إيران والعراق دراسة مقنعة للتحوّلات والمنعطفات. فقد انتقلت الدولتان عبر السنين من التنافس الشديد إلى التعاون المفاجئ. فالتجارب المروّعة لحرب الثمانينات محفورة بعمق في ذاكرتهما الجماعية.[1] ومع ذلك، كشف فجر الألفية الجديدة عن تحوّل مفاجئ في الأحداث، ما جعل من إيران جهة فاعلة مؤثّرة على المستوى السياسي والأمني والاقتصادي في العراق. ويحلّل هذا الفصل تزايد نفوذ إيران في العراق، مسلّطاً الضوء على القوى المتنوّعة التي تشكّل العلاقة بينهما.

العلاقات الإيرانية العراقية: السياق التاريخي

يعود تاريخ العلاقات الثقافية والدينية بين إيران والعراق إلى مئات السنين. وتتشارك الدولتان حدوداً يبلغ طولها حوالي 1,599 كيلومتراً، ولطالما كانت المناطق المتجاورة، وخاصة خوزستان والبصرة، موضوع نزاعات إقليمية.[2] وبشكل خاص، ساهم ترسيم حدود نهر شط العرب في تأجيج التوترات قبل الحرب العراقية الإيرانية.[3] وقد سهّل الرئيس الجزائري هواري بومدين، في محاولة منه لمعالجة هذه القضايا، توقيع اتفاقية الجزائر بين العراق وإيران في العام 1975.[4] وركّز هذا الجهد الدبلوماسي على حلّ النزاع على الحدود، وتحديداً حول ممر شط العرب المائي، الذي يتّسم بأهمية إستراتيجية لصادرات النفط.[5] وبموجب هذه الاتفاقية، قرّر العراق وإيران ترسيم حدودهما المائية وفق مبدأ خط التالوك.[i] بالإضافة إلى ذلك، وافقت إيران على وقف دعم المتمرّدين الأكراد في شمال العراق.[6] وقد ساهمت هذه الاتفاقيّة في الحدّ من التوتّرات لفترة وجيزة. إلّا أنّها لم تعالج بشكل كامل القضايا الأعمق مثل الطموحات الإقليمية والأيديولوجية.

وشكّلت مغادرة الشاه محمد رضا بهلوي إيران في يناير 1979، يليها تأسيس الجمهورية الإسلامية تحت قيادة آية الله روح الله الخميني، تحوّلاً أيديولوجياً عميقاً في إيران.[7] ولم ينطوِ هذا التحوّل على تغيير في الحكم فحسب، بل كان بمثابة إعادة توجيه جذرية لهوية البلاد السياسية والاجتماعية والدولية، من نظام ملكي علماني مؤيّد للغرب إلى نظام ثيوقراطي مناهض للغرب.[8] وقد زاد تولّي صدام حسين السلطة كرئيس للعراق في العام 1979 من حدّة هذه الديناميات.[9] وفي يناير 1980، انتُخِب أبو الحسن بني صدر أوّل رئيس لإيران.[10] ونشأ الخلاف الدبلوماسي في 8 مارس من العام نفسه عندما سحبت إيران سفيرها من العراق.[11] وفي أبريل، أدّت محاولات اغتيال وزير الخارجية العراقي طارق عزيز ووزير الثقافة والإعلام لطيف نصيف جاسم – المنسوبة إلى عملاء إيرانيين – إلى تأجيج الوضع.[12] وفي الفترة الممتدّة ما بين مايو وأغسطس، اشتدّت الاشتباكات على طول الحدود العراقية الإيرانية، في إشارة إلى تصعيد واضح في الأعمال العدائية.[13] وشكّل تاريخ 17 سبتمبر نقطة التحول الحاسمة عندما ألغى العراق اتفاقية الجزائر الموقّعة في العام 1975 بإعلان السيادة الكاملة على ممر شط العرب المائي.[14] وقد أدّت هذه الخطوة فعلياً إلى تفكيك السلام الهش الذي أرسته الاتفاقية.

وأخيراً، غزت القوات العراقية إيران في 22 سبتمبر 1980، وبدأت حرباً طويلة ومدمّرة استمرّت لثماني سنوات.[15] شكّلت الحرب صراعاً من أجل الهيمنة بين نظامين متنافسين مدفوعين بوجهات نظر عالمية متباينة بشكل أساسي.[16] وشكّلت الحرب التي استمرّت لثماني سنوات الحدث الأهمّ في تاريخ البلدين الحديث. وأسفرت عن خسائر كبيرة في الطرفين فضلاً عن انعكاسات عميقة على المنطقة. وركّزت إيران في خلال هذه الفترة على الدفاع عن أراضيها وثورتها الإسلامية ضدّ ما اعتبرته عدواناً خارجياً. كما أسفرت الحرب عن عواقب اقتصادية واجتماعية وخيمة على البلدين.

ولم تبرز إيران كمنتصر واضح في الحرب مع العراق؛ بل عانت أضراراً جسيمة وتكبّدت خسائر بشرية كبيرة. ومع ذلك، اعتبرت النخب الإيرانية إطاحة القوات الأمريكية بصدام حسين في العام 2003 – و الأحزاب السياسية والميليشيات الشيعية التي ظهرت لاحقاً في العراق – كشكلٍ من أشكال التقدير للتضحيات التي قُدّمت في خلال الحرب الإيرانية العراقية من 1980 حتّى 1988.[17] ووصف مسؤولون إيرانيون الحرب بأنّها "الدفاع المقدّس".[18] وينبع هذا الشعور من واقع أنّ عدداً من الشخصيات البارزة في القيادة العراقية الجديدة، بما في

i. Treaty 1 Concerning the State Frontier and Neighbourly Relations between Iran and Iraq," signed on June 13, 1975," *United Nations Treaty Series*, vol. 1017, no. 14903 (1975), https://treaties.un.org/doc/Publication/UNTS/Volume%201017/volume-1017-I-14903-English.pdf.

ذلك أعضاء المجلس الأعلى الإسلامي العراقي وفيلق بدر وعناصر من حزب الدعوة، قاتلوا إلى جانب الحرس الثوري الإسلامي في الحرب ضدّ صدام حسين. ورغم أنّ إيران لم تحقّق نصراً واضحاً في الحرب التقليدية ضدّ العراق، إلّا أنّها حقّقت هدفاً من أهدافها المهمّة، وهو تمكين المجتمع الشيعي العراقي.[19]

أدّى غزو العراق الذي قادته الولايات المتحدة في العام 2003 إلى تحوّل كبير في العلاقة بين طهران وبغداد. وقد وجدت طهران في سقوط نظام صدام حسين الذي برز في السابق كخصمٍ إقليميّ لها، سبلاً جديدة لتوسيع نفوذها في الدولة المجاورة. واستغلّت إيران فراغ السلطة، فعزّزت علاقاتها مع مختلف الكيانات السياسية العراقية، وتحديداً المجموعات السياسية والمجموعات المسلّحة الشيعية التي تتمتّع الآن بنفوذ سياسي كبير في العراق.[20] ما سمح لإيران بأن تؤثّر بشكلٍ بارز في البيئة السياسية في العراق من خلال الوسائل السرية والعلنية لتعزيز أهدافها الاستراتيجية.

الضرورات الإستراتيجية

منذ العام 2003، شكّل العراق رادعاً إستراتيجياً لإيران ضدّ التهديدات المختلفة، لا سيما من المجموعات السنّية المتطرّفة – مثل تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) – التي تهدّد بشكل مباشر أمن إيران وحلفائها الشيعة في المنطقة. بالإضافة إلى ذلك، يردع أي عدوان عسكري محتمل أو ضغوط سياسية من القوى الغربية، وتحديداً الولايات المتحدة، التي كان لها وجود عسكري كبير في العراق. كما يعمل كحاجز ضد نفوذ الدول الإقليمية ذات الأغلبية السنّية، مثل المملكة العربية السعودية، المنافس التاريخي لإيران. ومن خلال العراق، تمكّنت طهران من ممارسة نفوذها والحفاظ على ممر برّي لحلفائها في سوريا ولبنان – نظام الأسد وحزب الله، على التوالي – ما عزّز قوّتها الإقليمية وأوجد مجال نفوذ متجاور عبر الشرق الأوسط. وقد اكتسب هذا الموقع الجغرافي أهمية خاصة بعد بدء الأزمة السورية في العام 2011 وعقب ظهور داعش في العام 2014.[21] ومنذ ذلك الحين، سهّل هذا الممر البرّي حركة الميليشيات المتحالفة مع إيران عبر الدول الثلاث، ما سرّع ردّها المنسّق على التهديدات الملموسة الموجهة إلى "محور المقاومة" الذي تقوده إيران.[22]

لا تزال أهمية العراق الإستراتيجية في إستراتيجية إيران الجيوسياسية، وخاصة على خلفية صراعها الظلّي مع إسرائيل، ثابتة.[23] ومع ذلك، فقد تغيّر مشهد الصراع الإقليمي، لا سيما مع الضربات الأخيرة التي شنّتها الولايات المتحدة والمملكة المتحدة ضد مواقع الحوثيين في اليمن.[24] تمثّل هذه الأحداث تطوّراً مهمّاً في التوترات القائمة بين الجهات الفاعلة المدعومة من إيران والمصالح الغربية. وتدلّ هذه الضربات على انخراط الولايات المتحدة والمملكة المتحدة في مواجهة نفوذ إيران في المنطقة بشكل أوسع يتجاوز المناطق التقليدية في العراق وسوريا ولبنان.[25] وعلى الرغم من هذه التطوّرات، يؤكّد نمط الميليشيات المدعومة من إيران والتي تشنّ هجمات على أهداف أمريكية وإسرائيلية في أنحاء المنطقة كافة، على قدرة "محور المقاومة" الإيراني على التكيّف وانتشاره الواسع. وتواصل هذه الشبكة من القوات المتحالفة عملها بتوجيه إستراتيجيّ ودعم من إيران بيد أنّها تبدو وكأنّها تعمل بشكلٍ لامركزيّ. وتُظهر الضربات الأخيرة ضد الحوثيين في اليمن اتّساع النطاق الجغرافي لهذا الصراع. كما تسلّط الضوء على التحدّيات المعقّدة التي يواجهها خصوم إيران في كبح طموحات الدولة في المنطقة. وتحافظ طهران، من جانبها، على دورها كمنسّق مركزي وداعم لهذه المجموعات، حيث تعمل على تكييف إستراتيجياتها للتعامل مع المشهد الجيوسياسي المتغيّر وتحقيق أهدافها الإستراتيجية الأوسع.[26]

علاوة على ذلك، يشكّل العراق جبهة إستراتيجيّة متقدّمة لإيران، بسبب موقعه الإستراتيجي لمواجهة القوات العسكرية الأمريكية المتمركزة بالقرب من الحدود الإيرانيّة. ويتماشى هذا الموقع الإستراتيجي مع أهداف طهران الجيوسياسية الإقليمية الشاملة، من بينها تقليص النفوذ العسكري الأجنبي في المناطق المجاورة لها. وتجدر الإشارة إلى أنّ إيران قد استفادت من وجود قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة لإظهار قدرتها على القيام بأعمال انتقامية، كما اتّضح في أعقاب اغتيال قائد فيلق القدس السابق الجنرال قاسم سليماني.[27]

ويُعدّ العراق شريكاً قيّماً من الناحية الاقتصاديّة، فهو سوق مهمّة لصادرات السلع والكهرباء والغاز الإيرانية، والتي من المتوقّع أن تتجاوز 9 مليارات دولار في العام 2023؛ كما يُعتبر بيئة جاذبة للاستثمارات الإيرانية.[28]

وأصبح العراق حبل نجاة لإيران على الصعيد الاقتصاديّ بعد أن فرضت الإدارة الأمريكية في عهد الرئيس السابق دونالد ترامب عقوبات مالية واقتصادية شديدة على إيران.[29] ومنذ ذلك الحين، قامت المجموعات السياسية والمجموعات المسلّحة المتحالفة مع إيران بتوسيع وجودها الاقتصادي في العراق كجزء من التزامها تجاه "محور المقاومة" الذي تقوده إيران.[30] ويسهم هذا الاعتماد الاقتصادي المتبادل بشكل كبير في الإطار التعاوني القائم بين البلدين.

وبعيداً عن مجالات الأمن والاقتصاد، يُعدّ العراق منصّة متعدّدة الأوجه تيسّر نفوذ إيران. ويتّسم التراث الإسلامي الشيعي المشترك بينهما بأهمية كبيرة بالنسبة إلى إيران. إذ يشكّل العراق موطناً لعدد من المواقع الدينية الشيعية الموقرة في العالم، ما يستقطب الحجّاج الإيرانيين ويمكّن طهران من ممارسة النفوذ الديني في العراق والمنطقة.[31] ويتجاوز هذا النفوذ المجال الديني ليمتدّ إلى المسائل السياسيّة المهمّة. وفي منطقة الشرق الأوسط الكبير، يشكّل العراق نقطة محورية لإيران لبسط نفوذها السياسي والديني، وتعزيز دورها كجهة فاعلة إقليميّة مهمّة.

فضلاً عن ذلك، يؤدّي التماشي بين توجه العراق السياسي والتوجّه الإيراني إلى تعزيز مكانة إيران الإقليمية بشكل عام. ولا تؤدّي هذه المواءمة إلى تعزيز مكانة إيران فحسب، بل تشكّل أيضاً ثقلاً موازناً لنفوذ المنافسين الإقليميين، مثل المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة وقطر وتركيا. وتؤكّد هذه الأهمية الإستراتيجية على دور العراق في تطلّعات إيران الإقليمية الأوسع.

الديناميات بالوكالة في العراق

لطالما وجدت بغداد نفسها منذ العام 2003 على مفترق طرق من صراعات القوى الإقليمية حيث تمارس الجهات الفاعلة الرئيسيّة نفوذاً غير مباشر عن طريق الوسطاء. وبلغ نفوذ إيران في السياسة العراقية ذروته بعد أن أعلنت الولايات المتحدة سحب قواتها من العراق في العام 2011.[32] ومع ذلك، أتاح ظهور تنظيم داعش في العام 2014 سبلاً لإيران لتعزيز مكانتها، حيث قادت الميليشيات المدعومة من طهران الهجوم ضد المجموعة المتطرّفة.[33]

وأخذ المشهد بالتغيّر في العام 2018 مع الموقف العدائي الذي اتّخذته إدارة ترامب تجاه إيران.[34] وزاد مقتل الجنرال سليماني في العام 2020 من حدّة الخلاف، مثيراً المخاوف من أن يصبح العراق ساحة حرب بالوكالة بين الولايات المتحدة وإيران.[35] وفي عهد الرئيس جوزيف بايدن، استمرّ الخلاف في العراق، حيث ظهرت الولايات المتحدة والدول الخليجيّة وتركيا كمنافس رئيسي لإيران. وبدلاً من خروج الجيش الأمريكي بالكامل، قام بإعادة تمركز قواته.[36] بالإضافة إلى ذلك، فإنّ تعزيز دور تركيا والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة في العراق يزعزع مكانة إيران الإقليمية أكثر فأكثر.[37]

وعلى الرغم من تراجع هيمنة إيران في العراق، قامت طهران بتوسيع شبكات وكلائها داخل البلاد ببراعة لحماية مصالحها الإستراتيجية. وقد رسّخت إيران مكانتها كجهة فاعلة أساسيّة في الساحة السياسية في بغداد، حيث أثّرت في غالبية السياسيين السنّة وجزء كبير من القادة الأكراد، وخاصة من هم من مدينة السليمانية.[38] ووجد عدد من الشخصيات السنية المناهضة لإيران سابقاً، بما في ذلك خميس الخنجر ورافع العيساوي وجمال الضاري، أنّ الانخراط في السياسة العراقية أمرٌ محفوف بالمخاطر بسبب التهديدات التي يشكّلها حلفاء إيران، والذي دفع بالكثيرين إلى المنفى.[39] ولم تكن عودتهم إلى السياسة العراقية ممكنة إلّا بعد الحصول على موافقة إيران.[40] وأصبحت اليوم وجهات نظرهم السياسية متوافقة إلى حدّ كبير مع إيران.

علاوة على ذلك، صبّ الخلاف الكردي الداخلي بين الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني في مصلحة إيران.[41] وقد أدّى ذلك إلى تقريب الاتحاد الوطني الكردستاني من حلفاء إيران في بغداد وإضعاف الحزب الديمقراطي الكردستاني، الذي غالباً ما يُنظر إليه على أنّه يميل إلى الولايات المتحدة وإسرائيل.[42] باختصار، قامت إيران بتنظيم نفوذها ببراعة في المشهد السياسي العراقي، ما يضمن الحفاظ على هيمنتها بصرف النظر عن معارضة الولايات المتحدة وقوى الإقليمية.

الخاتمة وتوصيات السياسات: مستقبل دور إيران في العراق

إنّ الآفاق والتحديات التي يواجهها العراق، في ظل علاقته المتطوّرة مع إيران، متعدّدة الطبقات ومتشابكة بعمق مع ديناميات إقليمية أوسع. فبالنسبة إلى العراق، تكمن الفرصة الرئيسية في الاستفادة من موقعه الإستراتيجي والمكاسب المحتملة من علاقات وثيقة مع إيران، وخاصة في ما يتعلّق بالتعاون الاقتصادي والأمني. إلّا أنّ ذلك يترافق مع التحدي الكبير في الحفاظ على السيادة الوطنية والاستقلال السياسي. إنّ المشهدَ السياسي الداخلي في العراق معقّدٌ، إذ غالباً ما تتأثّر الفصائل المختلفة بالقوى الخارجية، بما فيها إيران. ويبقى تحقيق التوازن بين هذه العوامل، جنباً إلى جنب مع تعزيز هوية وطنية متماسكة ومعالجة القضايا الداخلية، مثل الطائفية والفساد، مهمّة شاقة أمام القيادة العراقية.

وعلى الصعيد الإقليمي، تؤثّر الديناميات الإيرانية العراقية بشكل كبير في المشهد الجيوسياسي في الشرق الأوسط. ويتعيّن على الجهات الفاعلة الإقليمية أن تجد توازناً جديداً حيث يحدّ التعاون والحوار من مخاطر الصراع. ويتضمّن ذلك معالجة الانقسام السنّي الشيعي وإيجاد أرضية مشتركة حول قضايا مثل التنمية الاقتصادية ومكافحة التطرّف. ومع ذلك، تقف المنافسات التاريخية والدينية والسياسية الراسخة عائقاً أمام ذلك. ولا يزال نفوذ إيران المتزايد في العراق ومشاركتها في صراعات إقليمية أخرى، كما هو الحال في سوريا واليمن، يشكّل مصدر قلق للدول العربية المجاورة وإسرائيل، ما قد يؤدّي إلى مزيد من الاستقطاب والصراع في المنطقة.

تحظى الجهات الفاعلة العالمية، وتحديداً الدول الغربية والمنظمات الدولية، بفرصة للانخراط بشكل فعّال في البلدين. ويمكن لهذه الجهات الفاعلة الخارجية أن تفسح المجال للحوار حول انتشار الأسلحة النووية والأمن الإقليمي. ومع ذلك، يواجه هذا الانخراط تحدّياً بسبب التعقيدات الجيوسياسية في الشرق الأوسط، حيث لطالما كانت السياسات والتدخّلات الغربية موضع شكّ عبر التاريخ. ويتمثّل التحدّي الذي تواجهه هذه الجهات الفاعلة في تبنّي نهج دقيق يحترم السيادة الوطنية، ويفهم السياق التاريخي، ويعالج المخاوف الأمنية المشروعة لكافة أصحاب المصلحة الإقليميين.

وفي الختام، تعكس ديناميات العلاقة بين إيران والعراق وتعقيداتها التحدّيات والفرص الأوسع التي يواجهها العراق، ومنطقة الشرق الأوسط الأوسع، والمجتمع العالمي. فبالنسبة إلى العراق، ينطوي المسار نحو المستقبل على التعامل مع التأثيرات الخارجية وتعزيز الوحدة الوطنية والتنمية. وعلى المستوى الإقليمي، يكمن التحدّي في تجاوز التنافس التاريخي والانقسامات العرقية والطائفية لصالح مشهد جيوسياسي أكثر تعاوناً واستقراراً. أمّا بالنسبة إلى الجهات الفاعلة العالمية، تتمثّل المهمّة في الانخراط مع فهم عميق للديناميات الإقليمية، وتحقيق التوازن بين المصالح الإستراتيجية والالتزام بالاستقرار واحترام السيادة الوطنية.

يودّ المحرّران التنويه بأنّ العمل على هذا الملف اكتمل قبل الهجوم الإيراني بالطائرات المسيّرة والصواريخ على إسرائيل في 13 أبريل. وكانت الضربات أول هجوم مباشر لطهران على إسرائيل، والذي اعتُبِر كردّ انتقامي على الغارة الإسرائيلية على القنصلية الإيرانية في دمشق في 1 أبريل. يقدّم هذا الملف نظرة معمّقة على إيران ورؤيتها السياسية، ولا يعكس التحليل التطوّرات الأخيرة.

إنّ الآراء الواردة في هذه المقالة تخصّ المؤلّف حصراً ولا تعكس رأي مجلس الشرق الأوسط للشؤون الدولية.

الهوامش

1. عبد الوهاب القصاب، الحرب العراقية الإيرانية 1980 – 1988: قراءة تحليلية في مذكرات الفريق الأول الركن نزار عبد الكريم فيصل الخزرجي (الدوحة، قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014).
2. Will D. Swearingen, "Geopolitical Origins of the Iran-Iraq War," *Geographical Review* 78, no. 4 (October 1988): 405–416, https://doi.org/10.2307/215091.
3. Efraim Karsh, "Geopolitical Determinism: The Origins of the Iran-Iraq War," *Middle East Journal* 44, no. 2 (Spring 1990): 261, http://www.jstor.org/stable/4328101.
4. "Iraq and Iran Sign Accord To Settle Border Conflicts," *The New York Times*, March 7, 1975, https://www.nytimes.com/1975/03/07/archives/iraq-and-iran-sign-accord-to-settle-border-conflicts-iraq-and-iran.html.
5. A "thalweg" is a line marking the lowest or central part of a river channel or valley.
6. "الإتفاقيّة الموقّعة بين إيران والعراق".
7. Devin Kennington, Joyce Battle and Malcolm Byrne, *Iran-Iraq War Timeline* (Washington, D.C.: Woodrow Wilson International Center for Scholars, n.d.), 1, https://www.wilsoncenter.org/sites/default/files/media/documents/publication/Iran-IraqWar_Part1.pdf.
8. Ibid., 1.
9. "Saddam Hussein," *Oxford Reference*, accessed February 9, 2024, https://www.oxfordreference.com/display/10.1093/oi/authority.20110803095951798.
10. "Timeline: Key dates in life of Iran's exiled first president Abolhassan Banisadr," *Alarabiya News*, October 9, 2021, https://english.alarabiya.net/News/middle-east/2021/10/09/Timeline-Key-dates-in-life-of-Iran-s-exiled-first-president-Abolhassan-Banisadr.
11. Efraim Karsh, The Iran–Iraq War 1980–1988 (Oxford: Osprey Publishing, 2002), 9.
12. Kennington, Battle and Byrne, *Iran-Iraq War Timeline*, 1.
13. Karsh, *The Iran-Iraq War*, 9.
14. Kennington, Battle and Byrne, *Iran-Iraq War Timeline*, 1.
15. Ibid., 2.
16. Williamson Murray and Kevin M. Woods, *The Iran-Iraq War: A Military and Strategic History* (Cambridge: Cambridge University Press, 2014), 1, https://doi.org/10.1017/CBO9781107449794.
17. Suroosh Irfani, "The Iran-Iraq War and Its Implications for The Region," *Strategic Studies: Special Issue: Security in the Gulf: Regional and Global Aspects* 11, no. 2 (Winter 1987): 38–59, http://www.jstor.org/stable/45182734.
18. Ibid., 42.
19. Alireza Nader, *Iran's Role in Iraq: Room for U.S.-Iran Cooperation?*, Research Paper, (Santa Monica, CA: RAND Corporation, 2015), https://www.rand.org/pubs/perspectives/PE151.html.
20. International Crisis Group, Iran in Iraq: *How Much Influence?*, (Washington, D.C.: International Crisis Group, March 21, 2005), https://www.crisisgroup.org/middle-east-north-africa/gulf-and-arabian-peninsula/iran/iran-iraq-how-much-influence.
21. Mona Yacoubian, Syria Timeline: *Since the Uprising Against Assad*, Analysis, (Washington, D.C.: United States Institute of Peace, January 1, 2021), https://www.usip.org/syria-timeline-uprising-against-assad.
22. Brian Katz, Axis Rising: *Iran's Evolving Regional Strategy and Non-State Partnerships in the Middle East*, Policy Brief, (Washington, D.C.: Center for Strategic and International Studies, October 2018), https://www.csis.org/analysis/axis-rising-irans-evolving-regional-strategy-and-non-state-partnerships-middle-east.
23. "Iran's Allies in Iraq, Yemen Threaten U.S. Over Intervention in Israel," *Reuters*, October 11, 2023, https://www.reuters.com/world/senior-iraqi-political-figure-threatens-target-us-interests-if-it-backs-israel-2023-10-10/.
24. "Experts React: What to Know about US and UK Strikes on the Houthis in Yemen," New Atlanticist (Atlantic Council blog), January 11, 2024, https://www.atlanticcouncil.org/blogs/new-atlanticist/experts-react/experts-react-what-to-know-about-us-and-uk-strikes-on-the-houthis-in-yemen/.
25. "Iran's Khamenei Says Tehran Was Not Behind Hamas Attack on Israel," Reuters, October 10, 2023, https://www.reuters.com/world/middle-east/irans-khamenei-says-tehran-was-not-behind-hamas-attack-israel-2023-10-10/; Nancy Ezzeddine and Hamidreza Azizi, "Iran's Increasingly Decentralized Axis of Resistance," *War on the Rocks*, July 14, 2022, https://warontherocks.com/2022/07/irans-increasingly-decentralized-axis-of-resistance/.
26. Afshon Ostovar, "Iran, Israel, and War in the Middle East," *War on the Rocks*, October 17, 2023, https://warontherocks.com/2023/10/iran-israel-and-war-in-the-middle-east/.
27. Nasser Karimi, Amir Vahdat, and Jon Gambrell, "Iran Strikes Back at US with Missile Attack at Bases in Iraq," Associated Press, January 7, 2020, https://apnews.com/article/ap-top-news-persian-gulf-tensions-tehran-international-news-iraq-add7a702258b4419d796aa5f48e577fc.
28. Mahnaz Abdi, "Iran's Annual Export to Iraq Anticipated to Hit Record High," *Tehran Times*, March 11, 2023, https://www.tehrantimes.com/news/482762/Iran-s-annual-export-to-Iraq-anticipated-to-hit-record-high.
29. "Iran Strengthens Political, Economic Hold over Iraq," *France 24*, December 11, 2022, https://www.france24.com/en/live-news/20221211-iran-strengthens-political-economic-hold-over-iraq.
30. "اقتصاد العراق يترنح مع تقييد أميركا التدفقات الدولارية إلى إيران"، اندبندنت عربية، 20 يناير 2023، https://www.independentarabia.com/node/413516.
31. "Pope Francis Meets Iraq's Shia Leader Al-Sistani," *Al Jazeera*, March 6, 2023, https://www.aljazeera.com/news/2021/3/6/pope-francis-meets-iraqs-shia-leader-al-sistani.
32. "Barack Obama announces total withdrawal of US troops from Iraq," *The Guardian*, October 21, 2011, https://www.theguardian.com/world/2011/oct/21/obama-us-troops-withdrawal-iraq.
33. Shahram Akbarzadeh, "Iran and Daesh: The Case of a Reluctant Shia Power," Middle East Policy 22, no.3 (Fall 2015), https://doi.org/10.1111/mepo.12142.
34. Elizabeth Rosenberg and Neil Bhatiya, "Trump Has Made Sanctions a Path to Strikes," *Foreign Policy*, January 14, 2020, https://foreignpolicy.com/2020/01/14/iran-suleimani-trump-has-made-sanctions-path-to-strikes/.
35. Qassim Abdul-Zahra and Zeina Karam, "US kills Iran's Most Powerful General in Baghdad Airstrike," Associated Press, January 3, 2020, https://apnews.com/

الهوامش

article/ap-top-news-tehran-international-news-iraq-ali-khamenei-5597ff0f046a67805cc233d5933a53ed.

36. Emily Hawthorne, "The U.S. Strategy in Iraq Could Come Back to Bite," *Worldview (RANE/Stratfor blog)*, April 6, 2020, https://worldview.stratfor.com/article/us-strategy-iraq-could-come-back-bite-iran-sanctions-covid-economy-politics-military-security.

37. Hamidreza Azizi, *Challenges to Iran's Role in Iraq in the Post-Soleimani Era: Complex Rivalries*, Fragmented Alliances, Declining Soft Power, SWP Comment no. 44, (Berlin: Stiftung Wissenschaft und Politik, July 2021), https://doi.org/10.18449/2021C44.

38. Kamal Chomani, *Big Brother Is Watching: Evolving Relations between Iran and the Kurdistan Region of Iraq*, Policy Brief, (The Hague, Netherlands: The Netherlands Institute of International Relations (Clingendael), March 2022), 1-12, https://www.clingendael.org/publication/evolving-relations-between-iran-and-kurdistan-region-iraq.

39. Renad Mansour, *The Sunni Predicament in Iraq*, Policy Brief (Beirut, Lebanon: Carnegie Middle East Center, March 2016), 1-24, https://carnegieendowment.org/files/CMEC_59_Mansour_Sunni_Final.pdf

40. "استئناف مفاوضات فيينا الثلاثة: روحاني يصفها بالناجحة لولا بعض التحفظات وظريف يبدي استعداداً لحوار اقليمي" الجزيرة، 26 أبريل 2021، https://aja.me/x7tsw.

41. Ranj Alaaldin, "Iran Is Exploiting Divisions and U.S. Inaction in Iraqi Kurdistan," September 29, 2023, https://foreignpolicy.com/2023/09/29/iraq-iran-kurdistan-krg-puk-pmf-kdp/.

42. BBC Monitoring, *National Aspirations and Regional Power Struggles – Key Kurdish Groups in Iraq, Syria, Iran and Turkey* (London, UK: Evidence submitted to the Kurdish Aspirations and the Interests of the UK Inquiry (KUR0022), Foreign Affairs Committee of the United Kingdom Parliament, November 2017), https://committees.parliament.uk/writtenevidence/83851/html/.

الجزء الثاني

الجهات الفاعلة الدولية وسياسة إيران الخارجية

الرئيس الروسي فلاديمير بوتين والرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي والرئيس التركي رجب طيب أردوغان يلتقطون صورة قبل اجتماع ثلاثي حول سوريا في طهران في 19 يوليو 2022. (وكالة الصحافة الفرنسية)

إيران والاتفاق النووي: إلى أين؟

شهرام أكبر زاده

زميل أول غير مقيم

شهرام أكبر زاده هو زميل أول غير مقيم في مجلس الشرق الأوسط للشؤون الدولية، وأستاذ باحث في سياسات الشرق الأوسط وآسيا الوسطى. ويشغل منصب نائب مدير الوحدة الدولية في معهد ألفريد ديكين للمواطنة والعولمة في جامعة ديكين في أستراليا. وتشتمل مواضيع بحثه على العلاقات العابرة للحدود الوطنية والعلاقات الدولية في الشرق الأوسط. وتولّى مؤخراً قيادة مشروع تأمين الهوية الكردية بدعم من مؤسسة غردا هنكل ستفتانغ، وقاد مشروع الحروب بالوكالة بتمويل من مؤسسة كارنيغي. ويقوم أيضاً بعقد اجتماعات في منتدى دراسات الشرق الأوسط في معهد ألفريد ديكين للمواطنة والعولمة. وقبل ذلك، كان أكبر زاده زميلاً في برنامج Future Fellows التابع لمجلس البحوث الأسترالي، وركّز في بحثه على صنع السياسة الخارجية في إيران.

المقدّمة

في العام 2015، وقّعت إيران والاتحاد الأوروبي والأعضاء الخمسة الدائمون في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بالإضافة إلى ألمانيا – أي مجموعة 5+1 – على خطة العمل الشاملة المشتركة.[1] وفرض الاتفاق نظام رقابة ومراقبة صارماً على مستويات تخصيب اليورانيوم في إيران لمنعها من استخدامه عسكرياً. وفي المقابل، رفعت الأمم المتحدة العقوبات التي فُرضت على إيران كردٍّ على عدم امتثالها لطلبات الوكالة الدولية للطاقة الذرية (IAEA) للوصول إلى المنشآت النووية في البلاد ومراقبتها.

وعلى الرغم من اعتبار تخفيف العقوبات إنجازاً مهماً، إلّا أنّ فوائده كانت محدودة. استمرّت واشنطن في النظر إلى طهران على أنّها راعية للإرهاب، بسبب إستراتيجية التدخّل الإيرانية في الشرق الأوسط المتمثّلة في دعم الجهات الفاعلة المسلّحة غير الحكومية، وحافظت واشنطن على مجموعة منفصلة من العقوبات التي تهدف إلى تغيير سلوك إيران[2] وربما حتى إلى محاولة التحريض على تغيير النظام.[3] وفي العام 2018 في عهد الرئيس دونالد ترامب، انسحبت الولايات المتحدة من خطة العمل الشاملة المشتركة.[4] وردّاً على ذلك، خفّفت إيران تدريجياً من امتثالها – عبر زيادة تخصيب اليورانيوم تدريجياً – لتقلب المعادلة من مكاسب الصفقة الدبلوماسية.[5]

وأشارت تقارير حول المحادثات السرّية بين واشنطن وطهران في العام 2023 إلى دفعة حذرة من إدارة الرئيس الأمريكي جوزيف بايدن لإعادة إحياء خطة العمل الشاملة المشتركة.[6] ومع ذلك، تعيق جهود التفاوض على "خطة العمل الشاملة المشتركة 2.0" عوائق مترابطة، بما فيها التصعيد الأخير في الشرق الأوسط في أعقاب الحرب الإسرائيلية على غزة، وهيمنة جناح متشدّد تحت قيادة الرئيس إبراهيم رئيسي في إيران. سيتناول هذا الفصل العوامل الجيوسياسية والأيديولوجية المترابطة التي تعيق الجهود الرامية إلى إعادة إحياء خطة العمل الشاملة المشتركة وتقييم آفاق مستقبل الاتفاقية.

الأيديولوجيا

شكّلت فكرة "تصدير الثورة" حجر الأساس في السياسة الخارجية الإيرانية لعقود من الزمن.[7] وروّج لهذه السياسة تحت شعار دعم المستضعَفين، وفُعّلت من خلال إنشاء الروابط مع الجهات المسلّحة غير الحكومية، وتحديداً حزب الله في لبنان[8] وحركة حماس الفلسطينية.[9] كما دعمت إيران المجموعات الشيعية في العراق[10] والبحرين[11] والمملكة العربية السعودية[12] تحت عنوان التضامن الإسلامي ضدّ الظلم.

في أعقاب ثورة 1979، رأت واشنطن وحلفاؤها في المنطقة أنّ السياسة الخارجية الإيرانية هي سياسة تدخّلية وتخريبية. ويفسّر هذا القلق الدعمَ الإقليمي للعراق في حربه الطويلة مع إيران بين 1980 و1988، والتي خلّفت أثراً عميقاً على صناع السياسة الخارجية الإيرانيين وتقييماتهم الإستراتيجية. وعلى الرغم من محاولة بعض القادة الإيرانيين، وأبرزهم الرئيس محمد خاتمي،[13] التخلّص من عقلية إيران في مواجهة الغرب، إلّا أنّ هذه الثنائية تبقى راسخة في قلب الفكر السياسي في البلاد. وقد أدّى فوز رئيسي في الانتخابات الرئاسية في العام 2021 إلى تعزيز هذا المنظور المتشدّد. وقد انتقد رئيسي خطة العمل الشاملة المشتركة باعتبارها تسوية غير مقبولة قوّضت مهمّة إيران الثورية،[14] وما من مؤشّر يدلّ على أنّ وجهات نظره قد تغيّرت.

العزلة

منذ أكثر من أربعة عقود وإيران دولة منبوذة، على الرغم من تعدّد الفرص للخروج من دوامة انعدام الثقة والعداء المتبادل بينها وبين الولايات المتحدة. وأتت إحدى هذه الفرص بعد الهجمات الإرهابية على الولايات المتحدة في العام 2001، إذ تماشت العمليات الأمريكية ضدّ طالبان بعد 11 سبتمبر مع المصالح الإيرانية.[15] ولكن سرعان ما ضاعت هذه الفرصة عندما وضع المحافظون الجدد في واشنطن إيران نصب أعينهم كهدف في "محور الشر".[16] وفي الوقت نفسه، أنكر منتقدو خاتمي المحافظون جهوده لإعادة ضبط العلاقات مع الغرب من خلال "الحوار بين الحضارات"، باعتبارها مجرّد أمنيات.

وظهرت فرصة أخرى لإعادة ضبط السياسة في العام 2014، إثر استيلاء فصائل تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) على الموصل في سوريا.[17] وشكّل التنظيم بأجندته المناهضة للشيعة تهديداً كبيراً لطهران. ردّاً على ذلك، حثّت إيران على الحشد الشعبي ضدّ داعش – وهذا ما ردّده آية الله العظمى علي السيستاني في العراق،[18] والذي أدّت فتواه إلى تشكيل قوات الحشد الشعبي.[19] وفي وقت لاحق، ساعدت قوات الحشد الشعبي القوات الكردية المدعومة من الولايات المتحدة والجيش العراقي في تحرير الموصل في العام 2017.[20] ومع ذلك، لم يخفّف توافق المصالح الأمريكية والإيرانية ضد داعش من العداء الراسخ بين البلدين. بل رأت السلطات الإيرانية تنظيم داعش على أنّه نتاج إستراتيجية أمريكية طويلة المدى لتقويض إيران.[21]

تتأثّر سياسة الولايات المتحدة تجاه إيران بمزيج من المظالم التاريخية – لا سيما عملية احتجاز الرهائن في السفارة الأمريكية في طهران[22] بين العامين 1979 و1981 – والتقييم بأنّ إيران تهدّد مصالح واشنطن الحالية. تهدف العقوبات الأمريكية على إيران إلى كبح قيادة طهران الثورية. وقد خفّفت إيران جزئياً من أثر العقوبات من خلال تحويل التجارة إلى الأسواق الآسيوية، وخاصة الصين، إلّا أنّ نموّها الاقتصادي وتنميتها لا يزالان متعثّرين. كما حوّلت السلطات الإيرانية الصعوبات الاقتصادية إلى وسام شرف – تمجيد "اقتصاد المقاومة" في البلاد – وربطت بين تقدير العزلة والتركيز على الاكتفاء الذاتي. أمّا بالنسبة إلى القوات المسلّحة الإيرانية، فقد عنى ذلك تعزيز البحث والتطوير في مجال الأسلحة، مثل تكنولوجيا الطائرات المسيّرة.

سياسة "التوجّه شرقاً"

في ظلّ تدهور العلاقات بين واشنطن ومنافسَيها العالميين روسيا والصين، وجدت إيران فرصاً جديدة لتعزيز علاقاتها.[23] وتعتبر القيادة الدينية التحوّلات الأخيرة في التحالفات الجيواستراتيجية مجدية في تعاملها مع واشنطن.[24] ووقّعت طهران في مارس 2021 اتفاقية تعاون إستراتيجي لمدة 25 عاماً تشمل استثمارات في مجال النفط والبنية التحتية للسكك الحديدية.[25] وقد دفعت هذه التطوّرات السلطات الإيرانية إلى الأمل في إمكانية تخفيف جزءٍ من آثار العقوبات الشديدة. كما تبرز دينامية مماثلة بالنسبة إلى روسيا. لقد أثبت توافق المصالح الروسية والإيرانية في سوريا أهميّته في بقاء نظام الرئيس بشار الأسد. كما أثبتت طهران نفسها كشريك موثوق لروسيا في الحرب على أوكرانيا.[26]

الدفاع الأمامي

صمّمت مجموعة 5+1 خطةَ العمل الشاملة المشتركة لتجزئة القضايا المثيرة للقلق، من خلال اتّباع نهج تدريجي في التعامل مع التهديد الذي تشكّله إيران على الأمن الإقليمي. وقد أعطِيَت الأولوية لمعالجة طموحات إيران النووية على ردع سياسة التدخّل التي تعتمدها البلاد. ولم ترحّب الدول المجاورة لإيران بفصل القضية النووية عن باقي سياسة طهران الإقليمية، لأنّها تحمّلت العبء الأكبر من تدخّلات إيران. ومع ذلك، أصرّت إدارة أوباما، ولفترة قصيرة، على أنّ هذا النهج يحرز تقدّماً. إلّا أنّ المشهد تغيّر بعد انسحاب إدارة ترامب من الاتفاق النووي في العام 2018.

وفي السنوات الفاصلة، ضاعفت إيران أفضليّاتها غير المتماثلة. فقد عزّزت رعايتها لحلفائها بالوكالة،[27] وأحرزت تقدّماً ملموساً في التكنولوجيا الباليستية،[28] ووضعت قمراً صناعياً في المدار،[29] وزادت من فعالية طائرتها المسيّرة وقدرتها على الفتك.[30] باختصار، استثمرت إيران السنوات الماضية لتعزيز قدرتها على بسط قوّتها في المنطقة. ويشير تصدير إيران للطائرات المسيّرة الانتحارية إلى روسيا إلى زيادة هذا التفوّق غير المتكافئ، ما يقوّض أكثر منطق التجزئة.[31]

وقد اتّخذت إيران كذلك إجراءات غير متكافئة تحت عنوان "الدفاع الأمامي".[32] إذ استثمر النظام في طرق لاستباق التهديدات على الحدود نظراً لاستنفاذ معدّاته العسكرية التقليدية. وتتمتّع الصواريخ الإيرانية بالقدرة على الوصول إلى الأراضي الإسرائيلية.[33] بالإضافة إلى ذلك، يستخدم حزب الله تكنولوجيا الصواريخ الإيرانية وقد أظهر بالفعل استعداده لمساندة طهران.[34] لم تُصمّم خطة العمل الشاملة المشتركة للتصدي لهذه العوامل، ومن شبه المستحيل أن تتجاهلها واشنطن في أي محادثات مستقبلية.

السياسة الخارجية التعديلية

لعلّ أهمية تصدير الثورة في السياسة الخارجية الإيرانية تراجعت، إلّا أنّ المفهوم الأساسي للمقاومة ضدّ النظام الدولي "غير العادل" الذي تهيمن عليه الولايات المتحدة لم يتلاشَ. وفي حين فشلت إيران في صياغة بديل واضح للنظام الدولي الليبرالي، إلّا أنّها تدافع عن بعض المبادئ الأساسية: التحرّر من "غطرسة" الولايات المتحدة و"بلطجتها"؛ "العدالة"؛ واحترام السيادة الوطنية والتقاليد الثقافية.[35] وتتأثّر رؤية طهران بتاريخ من الاختلال في توازن القوى بين إيران والولايات المتحدة قبل ثورة 1979. واشتكت القيادة الدينية في تلك الفترة من تعدّي الثقافة والقيم الغربية المستمرّ على إيران واحتشدت ضدّ "التسمّم الغربي". وقد أصبح هذا التفكير الآن واضحاً بشكل كبير في نظرة إيران العالمية وسياستها الخارجية.

تميل إيران إلى الشراكة مع الدول التي تشاركها كراهيتها للولايات المتحدة، مثل سوريا وفنزويلا. إلّا أنّ احتمال تشكيل تحدّي وجيه للولايات المتحدة والنظام الدولي الليبرالي لم يكتسب مصداقية إلّا بعد أن تشدّدت روسيا والصين في مواقفهما. وتنظر الدولتان إلى الولايات المتحدة على أنّها قوّة مهيمنة وتسعيان إلى إيجاد ثقل موازن في الوكالات المتعدّدة الأطراف، مثل منظمة شنغهاي للتعاون ومجموعة البريكس التي تضمّ البرازيل وروسيا والهند والصين وجنوب أفريقيا. وأدّى انضمام إيران إلى منظمة شنغهاي للتعاون في العام 2023 وإلى مجموعة البريكس في العام التالي، إلى تعزيز الفكر التعديلي في طهران.

الدولة تقمع المعارضة

توفّيت مهسا أميني في سبتمبر 2022 لدى شرطة الأخلاق بعد احتجازها بتهمة عدم ارتداء الحجاب الإلزامي. وقد أشعل موتها حركة احتجاجية على مستوى البلاد، حيث تردّدت هتافات "المرأة والحياة والحرية" و"الموت للديكتاتور" في شوارع المدن الإيرانية الكبرى لأشهر طويلة. وعلى الرغم من قمع النظام العنيف للاحتجاجات، استمرّت المظاهرات إلى ما بعد العام 2023.

وشكّل ردّ النظام العنيف صدمةً للإيرانيين في الشتات والمراقبين الدوليين.[36] وتحدّث عدد من المسؤولين في العواصم الغربية علناً عن مساءلة مرتكبي أعمال العنف.[37] وبالتالي، وبعد مرور عام على الاحتجاجات، تعكس المحادثات حول تجديد خطة العمل الشاملة المشتركة صورة سيئة عن الولايات المتحدة وحلفائها في الغرب. وقد أشار مراقبون في الغرب إلى أنّ التفاوض مع إيران بشأن برنامجها النووي في هذه المرحلة سيكون بمثابة تبييض لفظائع النظام.[38]

الخاتمة

لقد أملت إدارة بايدن في إصلاح الضرر الذي ألحقه الرئيس ترامب بخطة العمل الشاملة المشتركة. ومع ذلك، أدركت إيران منذ العام 2015، أنّه حتى مع تخفيف العقوبات بموجب الاتفاق النووي، قلّصت العقوبات الأخرى التي ظلّت سارية – وتحديداً تلك المفروضة على القطاع المالي – فوائد الاتفاق بشكل كبير. وفي الوقت عينه، قامت إيران بتوطيد علاقاتها مع الصين وروسيا، ما خفّف ضرورة التوصّل إلى اتفاق لإنهاء عزلتها. وفي الوقت نفسه، أصبح من الصعب أكثر على واشنطن أن تتجاهل التهديدات الأمنية التي تشكّلها أصول إيران غير المتكافئة على المنطقة وأن تحافظ على مقاربة تمكّنها من الخوض في المحادثات النووية على حدة بعيداً عن تطلّعات طهران الإقليمية. وعليه، فإنّ احتمالات أن تتوّج الجهود المبذولة لإحياء خطة العمل الشاملة المشتركة بنجاح ضئيلة.

يودّ المحرّران التنويه بأنّ العمل على هذا الملف اكتمل قبل الهجوم الإيراني بالطائرات المسيّرة والصواريخ على إسرائيل في 13 أبريل. وكانت الضربات أول هجوم مباشر لطهران على إسرائيل، والذي اعتُبِر كردّ انتقامي على الغارة الإسرائيلية على القنصلية الإيرانية في دمشق في 1 أبريل. يقدّم هذا الملف نظرة معمّقة على إيران ورؤيتها السياسية، ولا يعكس التحليل التطوّرات الأخيرة.

إنّ الآراء الواردة في هذه المقالة تخصّ المؤلّف حصراً ولا تعكس رأي مجلس الشرق الأوسط للشؤون الدولية.

الهوامش

1. Joint Comprehensive Plan of Action," United" States Department of State, accessed February 18, 2024, https://2009-2017.state.gov/e/eb/tfs/spi/iran/jcpoa/#:~:text=On%20July%2014%2C%202015%2C%20the,program%20will%20be%20exclusively%20peaceful.
2. Bureau of Counterterrorism, "State Sponsors of Terrorism," U.S. Department of State, https://www.state.gov/state-sponsors-of-terrorism/.
3. Mahmood Monshipouri and Giorgio Davide Boggio, "Sanctions, Deterrence, Regime Change: A New Look at US-Iran Relations," *Middle East Policy* 29, no. 4 (Winter 2022): 26–44, https://doi.org/10.1111/mepo.12661.
4. Special Briefing: U.S. Withdraws from Iran Nuclear" Deal," Reuters, May 9, 2018, https://www.reuters.com/article/us-newsnow-iran-idUSKBN1I939V/.
5. Simon Henderson, *Iran Increases Output of Near Bomb-Grade Nuclear Material*, Policy Analysis, (Washington, D.C.: The Washington Institute for Near East Policy, December 27, 2023), https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/iran-increases-output-near-bomb-grade-nuclear-material.
6. Why Are the US and Iran Holding Talks and Why Does" It Matter?," *Al Jazeera*, June 18, 2023, https://www.aljazeera.com/news/2023/6/18/why-are-the-us-and-iran-holding-talks-and-why-does-it-matter.
7. Afshon Ostovar, "Exporting the Revolution," in *Vanguard of the Imam: Religion, Politics, and Iran's Revolutionary Guards*, (New York, NY: 2016: Oxford University Press, 2016), https://doi.org/10.1093/acprof:oso/9780199387892.003.0006.
8. Ali Alfoneh, "Parallelism and Rivalry by Design: Amal and Hezbollah," The Arab Gulf States Institute in Washington, August 16, 2022, https://agsiw.org/parallelism-and-rivalry-by-design-amal-and-hezbollah/.
9. Fabian Hinz, "Iran Transfers Rockets to Palestinian Groups," Wilson Center, May 19, 2021, https://www.wilsoncenter.org/article/irans-rockets-palestinian-groups.
10. Kali Robinson, *How Much Influence Does Iran Have in Iraq?*, Brief, (Washington, D.C.: Council on Foreign Relations, October 18, 2022), https://www.cfr.org/in-brief/how-much-influence-does-iran-have-iraq.
11. Andrew Hanna and Garrett Nada, *Iran's Roster of Influence Abroad*, Article, (Washington, D.C.: Wilson Center, March 24, 2020), https://www.wilsoncenter.org/article/irans-roster-political-influence-abroad-0.
12. Bruce Riedel, *Iran Seeks to Exploit Shia Grievances in Saudi Arabia, Commentary*, (Washington, D.C.: Brookings Institution, November 9, 2012, https://www.brookings.edu/articles/iran-seeks-to-exploit-shia-grievances-in-saudi-arabia/.
13. Patrick Clawson and Michael Eisenstadt, *Iran Under Khatami: A Political, Economic, and Military Assessment, Policy Analysis*, (Washington, D.C.: The Washington Institute for Near East Policy, October 1, 1998), https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/iran-under-khatami-political-economic-and-military-assessment
14. Raisi Says Revival of Nuclear Deal Not Iran's Priority,"" *Al-Monitor*, August 29, 2023, https://www.al-monitor.com/originals/2023/08/raisi-says-revival-nuclear-deal-not-irans-priority#ixzz8DvXXsdd0.
15. Gawdat Bahgat, "Iran, the United States, and the War on Terrorism," *Studies in Conflict & Terrorism* 26, no. 2 (January 2011): 93, https://doi.org/10.1080/10576100390145189.
16. Ibid., 99.
17. Ziad Al-Sinjary, "Mosul falls to militants, Iraqi forces flee northern city," Reuters, June 11, 2014, https://www.reuters.com/article/idUSKBN0EL1H4/.
18. Iraq cleric issues call to arms against ISIL," *Al Jazeera*, June 14, 2014, https://www.aljazeera.com/news/2014/6/14/iraq-cleric-issues-call-to-arms-against-isil.
19. Abdullah Al Jbour, *The Popular Mobilization Forces in Iraq: Regional Dynamics and Local Variables*, Analysis, (Berlin, Germany: Friedrich-Ebert-Stiftung, March 2021), https://library.fes.de/pdf-files/bueros/amman/17860.pdf.
20. Ahmad Majidyar, "Iran-Backed Militia Groups Continue to Play Key role in West Mosul Operations," Middle East Institute, March 13, 2017, https://mei.edu/publications/iran-backed-militia-groups-continue-play-key-role-west-mosul-operations.
21. James Griffiths and Hamdi Alkhshali, "Iran blames US for creating ISIS amid worsening Middle East tensions," *CNN*, June 13, 2017, https://edition.cnn.com/2017/06/13/middleeast/iran-isis-middle-east/index.html.
22. Iran hostage crisis," Encyclopedia Britannica Online," February 16, 2024, https://www.britannica.com/event/Iran-hostage-crisis.
23. Hongda Fan, "China–Iran Relations from the Perspective of Tehran's Look East Approach," *Asian Affairs* 53, no. 1 (2022): 51–67, http://doi.org/10.1080/03068374.2022.2029053.
24. Iran's Place in the New World Order Following the De-" feat of US Proxy Wars," *Khamenei*, May 18, 2023, https://english.khamenei.ir/news/9777/Iran-s-place-in-the-new-world-order-following-the-defeat-of-US.
25. Iran and China Sign 25 Year Cooperation Agreement,"" Reuters, March 29, 2021, https://www.reuters.com/article/us-iran-china-idUSKBN2BJ0AD.
26. Robbie Gramer, "Iran Doubles Down on Arms for Russia," *Foreign Policy*, March 3, 2023, https://foreignpolicy.com/2023/03/03/russia-iran-drones-uav-ukraine-war-military-cooperation-sanctions/.
27. Maysam Behravesh, *Iran's Unconventional Alliance Network in the Middle East and Beyond*, Policy Paper, (Washington, DC: Middle East Institute, April 7, 2020), https://www.mei.edu/publications/irans-unconventional-alliance-network-middle-east-and-beyond.
28. Farzin Nadimi, *The Next Generation of Iranian Ballistic Missiles: Technical Advances, Strategic Objectives, and Potential Western Responses*, Policy Notes no. 138, (Washington, DC: Washington Institute for Near East Policy, July 25, 2023), https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/next-generation-iranian-ballistic-missiles-technical-advances-strategic-objectives.
29. Iran Successfully Launches Sorayya Satellite, State" Media Report," Reuters, January 20, 2024, https://www.reuters.com/world/middle-east/iran-successfully-launches-sorayya-satellite-iranian-media-2024-01-20/.
30. Michael Rubin, *A Short History of the Iranian Drone Program*, Research Report, (Washington, DC: American Enterprise Institute, August 2020), https://www.jstor.org/stable/resrep26682.

31. Dalton Bennett and Mary Ilyushina, "Inside the Russian Effort to Build 6,000 Attack Drones with Iran's Help," *The Washington Post*, August 17, 2023, https://www.washingtonpost.com/investigations/2023/08/17/russia-iran-drone-shahed-alabuga/.

32. Shahram Akbarzadeh, William Gourlay, and Anoushiravan Ehteshami, "Iranian Proxies in the Syrian Conflict: Tehran's 'Forward-Defence' in Action," *Journal of Strategic Studies* 46, no. 3 (2023): 683–706, http://doi.org/10.1080/01402390.2021.2023014; Hamidreza Azizi, The Concept of '"Forward Defence": *How Has the Syrian Crisis Shaped the Evolution of Iran's Military Strategy*, Research Project Report no. 4, (Geneva: Geneva Centre for Security Policy, February 3, 2021), https://www.gcsp.ch/publications/concept-forward-defence-how-has-syrian-crisis-shaped-evolution-irans-military-strategy.

33. Table of Iran's Missile Arsenal," Iran Watch, February" 22, 2024, https://www.iranwatch.org/our-publications/weapon-program-background-report/table-irans-missile-arsenal.

34. Lebanon's Hezbollah: What weapons does it have?,"" Reuters, October 30, 2023, https://www.reuters.com/world/middle-east/lebanons-hezbollah-what-weapons-does-it-have-2023-10-30/.

35. Major General Bagheri: The Signs of the Decline of" American Power Are Visible," Donya-e Eqtesad, May 9, 2023, https://donya-e-eqtesad.com/fa/tiny/news-3966203.

36. Yola Robert, "Iranian Diaspora Collective Stands with Iranians for a Democratic Iran," *Forbes*, January 12, 2023, https://www.forbes.com/sites/yolarobert1/2023/01/12/the-iranian-diaspora-collective-wants-total-regime-change/?sh=3797c1d1461f.

37. Statement by President Biden on the Violent Crack-" down in Iran," The White House, October 3, 2022, https://www.whitehouse.gov/briefing-room/statements-releases/2022/10/03/statement-by-president-biden-on-the-violent-crackdown-in-iran/.

38. Emmet Lyons, Ken Olshansky, and Haley Britzky, "Hillary Clinton Says US Should Not Engage in Nuclear Talks with Iran as Protestors Stand Up 'to Their Oppressors,'" *CNN*, December 1, 2022, https://edition.cnn.com/2022/12/01/politics/hillary-clinton-iran-nuclear-talks-protests/index.html.

سياسة رئيسي الخارجية لإحياء مكانة إيران الدولية: استمرارية لأسلافه

لوتشيانو زاكارا

مركز دراسات الخليج، جامعة قطر

لوتشيانو زاكارا هو أستاذ باحث مشارك في مركز دراسات الخليج في جامعة قطر. وهو أيضاً أستاذ مشارك زائر في جامعة جورجتاون في قطر ومدير مرصد السياسة والانتخابات في العالم العربي والإسلامي (OPEMAM) في إسبانيا. كان زاكارا في السابق زميلًا ما بعد الدكتوراه في جامعة أوتونوما في برشلونة حيث حصل على درجة الدكتوراه في الدراسات العربية والإسلامية. عمل سابقاً كباحث زائر في معهد الدراسات العربية والإسلامية في جامعة إكستر وكباحث زائر في مركز جامعة برينستون لدراسات إيران والخليج الفارسي.

المقدّمة

أظهر الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي مهارةً في إدارة العلاقات الدولية المعقّدة على عكس توقّعات الكثيرين بأن تتّسم ولايته بالعزلة والجدالات. يشير هذا الفصل إلى أنّ رئيسي قد عزّز مكانة إيران على الساحة الدولية، لا من خلال تطوير إستراتيجية جديدة، بل من خلال البناء على الأساس الذي وضعه أسلافه. إذ استفاد من الإستراتيجيات الدبلوماسية التي تبنّتها الإدارات السابقة، بما فيها الردع غير المتماثل والتوجه الإقليمي وإستراتيجية "التوجّه شرقاً". علاوة على ذلك، لقد أحيت إدارته "سياسة الجوار" وعزّزت العلاقات مع أمريكا اللاتينية.

يوضّح القسم الأول من هذا الفصل التحديات التي ورثها رئيسي، يليها تقييم لردوده اللاحقة. ويناقش بأنّ سياساته ليست إلّا استمراراً للسياسة الخارجية الإيرانية القائمة بدلاً من تقديم نهج مختلف. علاوة على ذلك، أثبتت هذه الاستمرارية فعّاليتها في التخفيف من حدّة عزلة البلاد وإعادة تأكيد نفوذها في الخليج والمنطقة ككل. وفي ظلّ الحرب المستمرّة على غزة والمناورات الدبلوماسية الإيرانية بعد 7 أكتوبر 2023، وضعت هذه الإستمرارية طهران في موقع المستفيد بصرف النظر عن نتيجة الحرب.

بداية متعثّرة

أثارت وفاة مهسا أميني عندما كانت محتجزة لدى شرطة الأخلاق في 16 سبتمبر 2022، اضطرابات اجتماعية وسياسية في إيران. وعندما قامت تظاهرات شعبية حاشدة، انتشرت التكهّنات حول مستقبل الجمهورية الإسلامية الإيرانية على المدى القريب ومكانتها في المنطقة. في ذلك الوقت، كان قد مرّ عام واحد فقط على تولّي إبراهيم رئيسي الرئاسة، والذي كان يواجه أساساً انتقادات حادّة بسبب سجلّه في مجال حقوق الإنسان كرئيس للسلطة القضائية من العام 2019 إلى العام 2021.[1] وضمن رئيسي الفوز في انتخابات العام 2021، بعد هزيمته السابقة أمام حسن روحاني في العام 2017، على الرغم من أنّ نسبة المشاركة كانت في أدنى مستوياتها على الإطلاق حيث بلغت 48,8 في المئة.[2] وقد جعله هذا الفوز، بفارق 18 مليون صوت فقط، الرئيس الأقل شعبية في إيران منذ العام 1997. وفي العام 2018، انسحبت الولايات المتحدة من خطة العمل الشاملة المشتركة (JCPOA) في عهد الرئيس السابق دونالد ترامب وأعادت فرض عقوبات صارمة على إيران . وأدّى ذلك، بالتزامن مع أزمة جائحة فيروس كورونا المستجد إلى تفاقم الانكماش الاقتصادي في البلاد وزيادة تعقيد المشهد السياسي. واندلعت الاحتجاجات الشعبية في أنحاء البلاد كافة، حيث طالب الجمهور بحلول فورية، مشكّكة في ارتياحها من الرئيس المنتخب حديثاً.

التحوّل الدبلوماسي الإيراني في عهد رئيسي

بحلول العام الثاني من ولاية رئيسي، بدأت مكانة طهران العالمية والإقليمية تتحسّن. تاريخياً، استغلّ القادة الإيرانيون سياسة الدولة الخارجية لاكتساب المصداقية في الداخل. واستمرّ رئيسي في تبنّي هذا النهج، مستخدماً نجاحات السياسة الخارجية لتعزيز فرص إعادة انتخابه في العام 2025 وتطلّعاته في أن يصبح المرشد الأعلى القادم للجمهورية الإسلامية. وقد حقّق الرئيس مكاسب كبيرة على الساحة الدولية، إذ أعاد تفعيل مكانة إيران العالمية وعزّز التحالفات الإقليمية من خلال تخلّيه عن دبلوماسية التباهي التي اعتمدها أسلافه.

وشكّلت مصالحة إيران المعجّلة مع خصمها الإقليمي المملكة العربية السعودية، والتي تحقّقت في بكين في 10 مارس 2023 بدعم من العراق وسلطنة عمان، إنجازاً مهماً.[3] وفي حين لا تزال المزايا والتفاصيل الدقيقة لاتفاقية 2023 قيد المناقشة، تمثّل سرعة إعادة فتح السفارتين في الرياض[4] وطهران منعطفاً مهمّاً في الدبلوماسية الإقليمية.[5] وكانت العلاقات بين الدولتين قد انقطعت بعد أن اقتحم متظاهرون غاضبون من إعدام رجل دين شيعي مكاتب دبلوماسية سعودية في إيران في العام 2016.[6] وذكّرت إتفاقية 2023 لإعادة العلاقات الدبلوماسية باستئناف العلاقة بين إيران والإمارات العربية المتحدة في وقت سابق من

العام 2022.[7] وانعكس هذا التوجّه الجديد في المحادثة الهاتفية الأولى بين الرئيس رئيسي وولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان في خلال الحرب على غزة، ما يشير إلى مرحلة من التحوّل في العلاقات الدبلوماسية الإيرانية. كما فتح التقارب السعودي الإيراني آفاقاً للحوار مع دول إقليمية أخرى مثل البحرين ومصر. ومع ذلك، فإنّ هذه الصفقة بالكاد تعيد إحياء إتفاقية التعاون الأمني بين السعودية وإيران التي جرى توقيعها في أبريل 2001 في عهد محمد خاتمي.[8]

لقد تخطّت إنجازات إيران الدبلوماسية مجرّد تعزيز العلاقات مع الدول المجاورة وتقوية مكانتها على الصعيد العالمي، ووصلت إلى حدّ حصول إيران على العضوية الكاملة في منظمة شنغهاي للتعاون في العام 2022،[9] تليها دعوة في العام 2024 للانضمام إلى مجموعة البريكس.[10] بالإضافة إلى ذلك، ظهرت إيران كداعم رئيسي لسوريا، حيث طالبت بعودتها إلى جامعة الدول العربية، وبالتالي تعزيز الاعتراف الإقليمي بها بعد عقد طويل من العزلة داخل المجتمعات العربية.[11]

وعلى الرغم من التقدّم الكبير الذي أُحرِز على المستوى الإقليمي، إلّا أنّ النزاع مع الولايات المتحدة في الملف النووي وصل إلى طريق مسدود في ظلّ غياب أي إنجاز يُذكر منذ تولّي الرئيس جوزيف بايدن الرئاسة، على الرغم من عملية تبادل الأسرى الأخيرة.[12] ومع ذلك، لم يعق هذا الطريق المسدود الجوانب الأخرى من أجندة رئيسي للسياسة الخارجية. فقد استخدم بمهارة الأساليب الدبلوماسية التي اتّبعتها الحكومات السابقة، بما في ذلك إستراتيجية الردع غير المتماثل والتركيز على التوجّه الإقليمي وسياسة "التوجّه شرقاً". وأدّت هذه المقاربات التي تبنّتها الإدارات السابقة، بما في ذلك إدارة الرئيسين محمود أحمدي نجاد (2005–2013) وحسن روحاني (2013–2021)، دوراً هاماً في الحدّ من عزلة إيران وإعادة التأكيد على دورها المركزي في منطقة الخليج والشرق الأوسط الأوسع.

ويشير تحليل سياسة رئيسي الخارجية إلى اعتماد إستراتيجي على البنية التحتية الدبلوماسية التي طوّرها أسلافه، بدلاً من رسم مسار جديد في العلاقات الخارجية. وقد شهدت ولاية رئيسي عودة نهج "حسن الجوار" تجاه الدول الخليجية المجاورة ـ وهي السياسة التي طرحها الرئيس هاشمي رفسنجاني لأول مرّة في التسعينيات – وإعادة تنشيط سياسة أحمدي نجاد تجاه أمريكا اللاتينية. ويعكس ذلك تطويراً للسياسات التقليدية أكثر منه تحوّلاً. كما يتوافق الانفتاح الأخير على دول مجلس التعاون الخليجي مع المسار الذي حدّدته مبادرة هرمز للسلام التي أطلقها روحاني في ديسمبر 2019.[13]

وتشير صفقة تبادل السجناء بين إيران والولايات المتحدة، التي أُعلن عنها في أغسطس 2023 وجرت في سبتمبر، إلى جانب الإفراج عن ستة مليارات دولار كانت مجمّدة سابقاً في كوريا الجنوبية بسبب العقوبات الأمريكية، إلى اتّساع المجال الدبلوماسي أمام رئيسي للمناورة في مواجهة بايدن.[14] ولم يشر هذا التطوّر إلى احتمال رأب الصدع في العلاقات الثنائية فحسب، بل كشف أيضاً عن إمكانيات جديدة للحوار واحتمال إنشاء "خطة عمل شاملة مشتركة 2.0" تكون أكثر شمولاً. وقد تتضمّن هذه الاتفاقية اعتبارات تتعلّق بدور إيران الإقليمي، الأمر الذي لم ترغب طهران النظر فيه في السابق.

وقد تؤدّي الحرب الحالية على غزة إلى عرقلة سبل التقارب المحتملة هذه. وفي أعقاب عملية "طوفان الأقصى"، حمّل عدد من الدول والمحلّلين إيران المسؤولية باعتبارها الداعم المالي والسياسي الرئيسي لحماس. وزعمت صحيفة وول ستريت جورنال أنّ وزير الخارجية الإيراني حسين أمير عبد اللهيان قد عقد اجتماعات في غزة ولبنان مع ممثّلين عن مختلف الفصائل لتخطيط الهجوم وتنظيمه.[15] وقد دحض المرشد الأعلى الإيراني علي خامنئي هذه الادّعاءات، مؤكّداً أنّه في حين تدعم إيران حماس باستمرار، غير أنّها لا تتحكّم بإستراتيجياتها أو قراراتها السياسية.[16] وعلى الرغم من ذلك، أشادت وسائل الإعلام الإيرانية بالهجمات، وعلّق عدد من المسؤولين الإيرانيين على ضعف إسرائيل وإرادة الفلسطنيين المستمرّة في تحدّي الكيان الصهيوني، بدعم من "محور المقاومة"، وبقيادة إيران. كما انتقدوا الدول العربية لسعيها للتطبيع مع إسرائيل.[17] وأشار وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن بعد أيام قليلة من أحداث 7 أكتوبر إلى عدم وجود دليل ملموس يربط إيران بالهجوم بشكل مباشر،[18] ما يعزّز مزاعم إيران بعدم تورّطها. وصرّح المتحدّث باسم الجيش الإسرائيلي، دانيال هاغاري، أنّه لا يمكن لإسرائيل ربط إيران بشكل قاطع بالتخطيط للهجمات أو تنفيذها،[19] بصرف النظر عن دعمها المعروف لحماس على مرّ السنوات.

لقد رفضت إيران من دون تردّد إبرام أي اتفاق مع إسرائيل، بدءاً من اتفاقيات كامب ديفيد (1979) إلى اتفاقيات مدريد-أوسلو (1991-1994)، وآخرها اتفاقات أبراهام (2020). ويلقى هذا الموقف صدى لدى الشعوب العربية التي غالباً ما تعبّر عن دعمها للقضية الفلسطينية أكثر منه للقادة الإيرانيين. وتشير التوجّهات الجيوسياسية الأخيرة إلى أنّ دعم إيران المستمرّ لمجموعات مثل حماس قد أدّى إلى تعزيز نفوذها في الشرق الأوسط والعالم العربي بشكل عام.[20] ولا يقتصر هذا الشعور على المسلمين أو العرب فحسب، بل يمتدّ إلى الفئات المناهضة للإمبريالية في الجنوب العالمي. وبتجاوز إيران للأعراف الدبلوماسية التقليدية، تسعى طهران من خلال تأييدها الصريح لهذه الهجمات إلى التواصل والانسجام مع الجهات المحرومة من حقوقها بسبب توطيد حكوماتها للعلاقات مع إسرائيل. والأهمّ من ذلك هو أنّ هذا التوجّه الذي يقوده رئيسي ليس بجديد، بل هو امتداد لنهج السياسة الخارجية القديم والذي تعود جذوره إلى حقبة مؤسس الجمهورية الإسلامية روح الله الخميني.

وفي هذا السياق، خدمت لقاءات أمير عبد اللهيان مع إسماعيل هنية في الدوحة منذ 7 أكتوبر هدفين.[21] أولاً، أظهرت علناً دعم إيران الثابت لحماس والقضية الفلسطينية أمام المجتمع الدولي. ثانياً، شكّلت استعراضاً للقوة أمام المنطقة الأوسع، وأمام إسرائيل والولايات المتحدة. بالإضافة إلى ذلك، أشار الاتفاق الأمريكي الإيراني لتبادل السجناء والافراج عن ستة مليارات دولار من الأصول الإيرانية إلى انفتاح واشنطن لتخفيف الضغط على إيران، أقلّه قبل 7 أكتوبر. كما أشار إلى أنّ الولايات المتحدة قد تجد صعوبة في التراجع عن الاتفاق الذي توسّطت قطر في تحقيقه من دون إثارة رد فعل أكبر من إيران.[22]

علاوة على ذلك، برزت إيران في استجابتها للصراع في غزة كجهة فاعلة إقليمية تدعو إلى احتواء التداعيات الإقليمية، حتى في ظلّ تحذيراتها المتكرّرة لإسرائيل. وكانت المحادثة الهاتفية غير المسبوقة بين رئيسي وولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان،[23] والتي تمحورت حول غزة، بمثابة مؤشّر واعد على الجهود الدبلوماسية التي تبذلها المنطقة لوقف التصعيد. ويمكن وصف هذا التقارب الخاص بين العناصر المختلفة لنهج السياسة الخارجية الذي يتبنّاه رئيسي بـ"البراغماتية الثورية".[24] ومع ذلك، لا بدّ من الإشارة إلى أنّ هذا المزيج من الإستراتيجيات لا يُعزى إلى رئيسي وحده؛ فهو يعكس التكتيكات التي سبق أن استخدمها أسلافه مثل أحمدي نجاد.

الخاتمة

وبينما توقّع الكثيرون أن تتّسم إدارة رئيسي بالعزلة، أظهر الرئيس الإيراني مهارةً في خوض غمار الدبلوماسية الدولية المعقدّة. فبدلاً من رسم مسار جديد، أحرز تقدّماً كبيراً من خلال البناء على الأساس الذي وضعه أسلافه، وبالتالي أعاد إيران إلى الخارطة العالمية وعزّز انخراط إيران في الشأن الإقليمي من خلال تبنّي مقاربة استباقيّة. وعلى الرغم من التحدّيات الكبيرة التي تهدّد إيران وتحديداً في القطاعين الاقتصادي والاجتماعي، إلّا أنّ إستراتيجيات رئيسي لا تعكس صورة إيران القوية داخل المنطقة فحسب، بل تلك العازمة على توسيع نفوذها على المستوى الدولي على حدّ سواء.

لعلّ الإستراتيجية التي تبنّاها رئيسي تقوم على "غياب الإستراتيجية" نظراً لأنّه لم يصغ خطة إقليمية أو عالمية لإدارته، بل يبني على مقاربات أسلافه، وأبرزهم روحاني وأحمدي نجاد. وفي حين حقّقت هذه المقاربات الموروثة المكاسب في بداية ولاية رئيسي، إلّا أنّ مساعيه لتمييز أسلوبه في القيادة عن أسلوب أسلافه لم تظهر بشكل واضح بعد.

يودّ المحرّران التنويه بأنّ العمل على هذا الملف اكتمل قبل الهجوم الإيراني بالطائرات المسيّرة والصواريخ على إسرائيل في 13 أبريل. وكانت الضربات أول هجوم مباشر لطهران على إسرائيل، والذي اعتُبِر كردّ انتقامي على الغارة الإسرائيلية على القنصلية الإيرانية في دمشق في 1 أبريل. يقدّم هذا الملف نظرة معمّقة على إيران ورؤيتها السياسية، ولا يعكس التحليل التطوّرات الأخيرة.

إنّ الآراء الواردة في هذه المقالة تخصّ المؤلّف حصراً ولا تعكس رأي مجلس الشرق الأوسط للشؤون الدولية.

الهوامش

1. Iran: Ebrahim Raisi Must Be Investigated for Crimes" Against Humanity," *Amnesty International*, June 19, 2021, https://www.amnesty.org/en/latest/press-release/2021/06/iran-ebrahim-raisi-must-be-investigated-for-crimes-against-humanity/; "Iran: Overseer of Mass Executions Elected President," *Human Rights Watch*, June 19, 2021, https://www.hrw.org/news/2021/06/19/iran-overseer-mass-executions-elected-president; Hadi Ghaemi, "Raisi: Record on Crackdown and Human Rights," *United States Institute for Peace*, July 20, 2021, https://iranprimer.usip.org/blog/2021/jul/20/raisi-record-crackdown-human-rights.
2. Luciano Zaccara, *Iran Presidential Elections 2021: What the Numbers Say*, Gulf Insights 47, (Doha, Qatar: Gulf Studies Center and OPEMAM, June 25, 2021), https://www.qu.edu.qa/static_file/qu/research/Gulf Studies/documents/Gulf Insights 47.pdf.
3. Parisa Hafezi, Nayera Abdallah and Aziz El Yaakoubi, "Iran and Saudi Arabia agree to resume ties in talks brokered by China," Reuters, March 11, 2023, https://www.reuters.com/world/middle-east/iran-saudi-arabia-agree-resume-ties-re-open-embassies-iranian-state-media-2023-03-10/#:~:text=DUBAI%2FRIYADH%2C%20March%2010%20(,East%20from%20Yemen%20to%20Syria.
4. Saudi and Iran Exchange Ambassadors after Rap-" prochement," *Al Jazeera*, September 5, 2023, https://www.aljazeera.com/news/2023/9/5/saudi-and-iran-exchange-ambassadors-after-rapprochement.
5. Mohammed Benmansour, "Iran's Embassy Reopens in Saudi Arabia for First Time in Seven Years," Reuters, June 7, 2023, https://www.reuters.com/world/middle-east/irans-embassy-reopens-saudi-capital-riyadh-al-arabi-ya-tv-2023-06-06/.
6. ".Saudi and Iran Exchange Ambassadors"
7. Giorgio Cafiero, "The UAE-Iran Rapprochement: Causes and Effects," *Gulf International Forum*, July 25, 2022, https://gulfif.org/the-uae-iran-rapprochement-causes-and-effects/
8. Howard Schneider, "Saudi Pact With Iran Is Sign of Growing Trust," *Washington Post*, April 16, 2001, https://www.washingtonpost.com/archive/politics/2001/04/17/saudi-pact-with-iran-is-sign-of-growing-trust/fbdde133-8ef9-48d2-9deb-5393b7f314d4/.
9. The Islamic Republic of Iran Becomes 9th Member of" the Shanghai Cooperation Organisation," Iran Ministry of Foreign Affairs, September 17, 2021, https://en.mfa.ir/portal/newsview/652127/The-Islamic-Republic-of-Iran-becomes-9th-member-of-the-Shanghai-Cooperation-Organisation.
10. Luciano Zaccara and Nesibe Hicret Battaloglu, "BRICS Membership: Gulf States' Strategic Pivot in Shifting Global Dynamics," *Gulf International Forum*, September 5, 2023, https://gulfif.org/brics-membership-gulf-states-strategic-pivot-in-shifting-global-dynamics/.
11. Aziz El Yaakoubi and Samia Nakhoul, "Syria's Assad Wins Warm Welcome at Arab Summit after Years of Isolation," *Reuters*, May 20, 2023, https://www.reuters.com/world/middle-east/syrias-assad-attend-arab-summit-bring-ing-regional-isolation-an-end-2023-05-19/
12. Arshad Mohammed and Parisa Hafezi, "Iran releases to house arrest 5 US citizens in swap, fund deal," Reuters, August 11, 2023, https://www.reuters.com/world/four-us-citizens-moved-iranian-prison-house-arrest-2023-08-10/.
13. Mehran Haghirian and Luciano Zaccara, "Making Sense of HOPE: Can Iran's Hormuz Peace Endeavor Succeed?," *Atlantic Council*, October 3, 2019, https://www.atlanticcouncil.org/blogs/iransource/making-sense-of-hope-can-irans-hormuz-peace-endeavor-succeed/.
14. Jon Gambrell, Lujain Jo, and Matthew Lee, "Five Americans Detained in Iran Walk Free, Released in Deal for Frozen Iranian Assets," *Associated Press*, September 19, 2023, https://apnews.com/article/iran-us-prisoner-swap-sanctions-assets-4e1fa477f8e6af45fb764acd259c2f1a.
15. Summer Said, Benoit Faucon, and Stephen Kalin, "Iran Helped Plot Attack on Israel Over Several Weeks," *The Wall Street Journal*, October 8, 2023, https://www.wsj.com/world/middle-east/iran-israel-hamas-strike-planning-bbe07b25.
16. Tehran correspondent, "Khamenei Cheers Hamas' 'Epic' Attacks on Israel, but Denies Iran Role," *Al Monitor*, October 10, 2023, https://www.al-monitor.com/originals/2023/10/khamenei-cheers-hamas-epic-attacks-israel-denies-iran-role.
17. Arab States Normalizing with Israel Should Learn" Lesson from Palestine Developments: Leader's Aide," *Press TV*, October 9, 2023, https://www.presstv.ir/Detail/2023/10/09/712367/Arab-states-normalizing-Israel-learn-lesson-Palestine-developments.
18. Jesse Pound, "Blinken Says U.S. Has 'Not Yet Seen' Evidence of Iran Involvement in Hamas Attack on Israel," *CNBC*, Ocober 8, 2023, https://www.cnbc.com/2023/10/08/blinken-says-us-has-not-yet-seen-evidence-of-iran-involvement-in-hamas-attack-on-israel.html.
19. Patrick Wintour, "No Evidence Yet of Iran Link to Hamas Attack, Says Israeli Military," *The Guardian*, October 9, 2023, https://www.theguardian.com/world/2023/oct/09/no-evidence-yet-of-iran-link-to-hamas-attack-says-israeli-military.
20. Arab Public Opinion about Israel's War on Gaza," Arab" Center Washington DC, February 8, 2024, https://arabcenterdc.org/resource/arab-public-opinion-about-israels-war-on-gaza/.
21. Iranian foreign minister meets with Palestinian Hamas'" leader in Doha, Al Jazeera reports," Reuters, October 14, 2023, https://www.reuters.com/world/middle-east/iranian-fm-meets-with-palestinian-hamas-leader-qatars-doha-al-jazeera-tv-2023-10-14/.
22. Ministry of Foreign Affairs-Qatar (@MofaQatar_EN), "His Excellency the Prime Minister," X, October 12, 2023, 10:16 a.m., https://twitter.com/MofaQatar_EN/status/1713091466124198142.
23. Iran President, Saudi Crown Prince Speak for First Time" since Ties Restored," *Reuters*, October 12, 2023, https://www.reuters.com/world/middle-east/irans-president-saudi-crown-prince-speak-first-time-since-diplomatic-ties-2023-10-11/.
24. Mohammadbagher Forough, *Raisi's Foreign Policy: Pragmatic Revolutionism and the Iranian Pivot to Asia*, GIGA Focus no. 7, (Hamburg, Germany: German Institue for Global and Area Studies, December 2021), 3, https://www.giga-hamburg.de/en/publications/giga-focus/raisi-s-foreign-policy-pragmatic-revolutionism-iranian-pivot-asia.

صعود إيران؟ تغيّر المفاهيم والطموحات العالمية في عهد رئيسي

آزادي زاميريراد

باحثة في الشؤون الإيرانية ونائبة رئيس قسم أفريقيا والشرق الأوسط في المعهد الألماني للشؤون الدولية والأمنية

آزادي زاميريراد هي باحثة في الشؤون الإيرانية ونائبة رئيس قسم أفريقيا والشرق الأوسط في المعهد الألماني للشؤون الدولية والأمنية في برلين، حيث تقدّم المشورة السياسية للحكومة الألمانية والبوندستاغ وصناع القرار الآخرين في أوروبا. تشمل اهتماماتها البحثية الأنظمة السلطوية، وديناميات النخبة، والسياسة الخارجية والأمنية الإيرانية، مع التركيز على الملف النووي الإيراني، والنظرة الإستراتيجية تجاه الشرق، والتصوّرات إزاء النظام العالمي.

المقدّمة

لقد وضع الرئيس إبراهيم رئيسي سياستي "الجوار" و"التوجه شرقاً" الإيرانيتين في قلب نهجه للعلاقات الخارجية. وفي حين تداخلت مجالات هاتين السياستين في السابق، إلّا أنّها أصبحت اليوم أكثر ترابطاً بعد حرب روسيا ضد أوكرانيا، وانخراط الصين سياسياً في منطقة الخليج، وهجوم حماس على إسرائيل في 7 أكتوبر 2023. وقد أثّرت هذه التطورات بشكل ملحوظ في تصوّر إيران لنفسها، وحساباتها الخاصة في السياسة الخارجية: تتبنّى طهران اليوم بالكامل وجهة نظرها الشرقية، وتستعرض قوّتها بشكل أكثر حزماً، كما تسعى بنشاط إلى تحقيق هدفها التعديلي المتمثّل بتشكيل نظام ما بعد الغرب.

النجاح الثلاثي الأوجه لسياستي "التوجه شرقاً" و"الجوار"

تتوافق سياستا "الجوار" و"التوجه شرقًا" اللتان تنتهجهما حكومة رئيسي مع ما وصفه المرشد الأعلى علي خامنئي بتفضيلات السياسات في فبراير 2018. وعندما كانت إدارة دونالد ترامب تستعدّ علناً لانسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق النووي المعروف رسمياً بخطة العمل الشاملة المشتركة، دعا خامنئي صانعي القرار الإيرانيين إلى تفضيل الشرق على الغرب والدول المجاورة على البعيدة.[1]

بالنسبة إلى الدول المجاورة، ركّزت حكومة رئيسي إلى حدّ كبير على وقف التصعيد مع الدول الخليجية، لتكلّل ذلك باتفاق التطبيع مع المملكة العربية السعودية في مارس 2023. وتهدف المحاولات الإيرانية لخفض تواجدها الأمني في منطقة الخليج إلى تحويل التركيز إلى التكامل الاقتصادي وتخفيف المخاوف الأمنية بشأن التطبيع السعودي الإسرائيلي؛ ذلك أنّ هذه الأخيرة لم تعد تشكّل تهديداً مباشراً لطهران منذ أن نفّذت حماس هجومها الأكبر حتى الآن ضدّ إسرائيل في أكتوبر 2023، ما أدّى إلى تخريب فرص التطبيع بين الرياض وتل أبيب في الوقت الحالي.

أمّا بالنسبة إلى الدول غير المجاورة، فقد ركّزت طهران بشكل أساسي على إعادة إحياء سياسة "التوجه شرقاً".[2] وخلافاً للحوادث السابقة، يفتقر تواصل إيران الحالي مع الشرق إلى بديل معقول. وبغياب الحلّ للصراع حول البرنامج النووي الإيراني، تبقى طهران هدفاً لا لمجموعة واسعة من العقوبات الأمريكية فحسب، بل أيضاً لسلسلة من العقوبات التي فرضها الاتحاد الأوروبي حديثاً بسبب حملة القمع الوحشية ضد احتجاجات "المرأة، الحياة، الحرية" التي عمّت البلاد في 2022 و2023. وعلى هذه الخلفية، لم يعد تحقيق التوازن ما بين المقاربة الشرقية وتحسين العلاقات مع الغرب خياراً قابلاً للتطبيق.

ومع ذلك، قام رئيسي بتوسيع نطاق سياسة "التوجه شرقاً" إلى أبعد ممّا اعتبره صنّاع السياسات في ايران منذ وقت طويل مناسباً لها. وبدا ذلك واضحاً عندما قرّرت طهران تسليم طائرات قتالية واستطلاعية مسيّرة إلى روسيا في العام 2022، لتؤدّي بالتالي دور اً بارزاً في حرب موسكو ضد أوكرانيا – وهو القرار الذي أثار الكثير من الانتقادات في الداخل.[3] ومع ذلك، فقد رأت القيادة أنّ تحوّل إيران من شريك صغير يسهل تهميشه إلى مورّد ضروري للمسيّرات الجوية استحقّ المشاركة غير المباشرة في حرب أعلنت طهران رسمياً حيادها تجاهها.[4]

ويرافق قرار إيران تزويد روسيا بالمسيّرات شعورٌ جديدٌ بأهميّتها على الساحة الدولية بعد سلسلة من النكسات المهينة والإخفاقات الاستخباراتية، بما في ذلك اغتيال الجنرال قاسم سليماني وتخريب مواقعها النووية وحصول إسرائيل على الأرشيف النووي الإيراني. كما أنّ الشعورَ بالأهمية العالمية المتزايدة مستمَدٌّ أيضاً من انضمام إيران إلى منظمة شنغهاي للتعاون في يوليو 2023 – وهو إنجاز لم يتحقّق إلّا بعد أكثر من 15 عاماً على تقديم الطلب، والعرض الذي تلقّته طهران وقبلته للانضمام إلى مجموعة البريكس.

وفي حين تعتمد هذه الإنجازات إلى حدّ كبير على عمل الرئاسات السابقة، فقد تمكّنت حكومة رئيسي من إدعاء نسبتها إليها، وحقّقت النجاح على ثلاث جبهات. أولاً، خفّت حدّة التوتّرات في منطقة الخليج بعد أن اقتربت من حافة الحرب في ظل الحكومة الإيرانية السابقة. ثانياً، توسّعت مكانة إيران كقوة متوسّطة على

الساحة العالمية. وثالثاً، استفاد رئيسي من هذه النجاحات لتعزيز الدعم المحلي، ما قدّم فوزاً سياسياً كان مؤيّدوه في أمسّ الحاجة إليه بعد أن هزّت الاحتجاجات على مستوى البلاد أركان النظام لأشهر متعدّدة.

تطلّعات طهران المتزايدة لنظام ما بعد الغرب

لقد تحقّقت نجاحات السياسة الخارجية الإيرانية في خلال مرحلة انتقالية حرجة لا تزال قائمة، تستعد في خلالها الجمهورية الإسلامية لمرحلة ما بعد خامنئي. وأظهرت طهران من جانبها قدرة كبيرة على التحمّل تكاد تقارب المنعة التي لا تقهر في مواجهة الضغوط الخارجية الناجمة عن العقوبات والاضطرابات الداخلية. وتتزامن هذه الثقة بالنفس الجديدة مع التطورات السياسية الخارجية التي انعكست على دور الجمهورية الإسلامية في النظام الدولي، وأبرزها أنّ الحرب التي شنّتها روسيا ضدّ أوكرانيا، وتحوّل الصين من جهة فاعلة اقتصادية في الشرق الأوسط إلى جهة فاعلة سياسية، والهجوم العنيف الذي شنّته حماس على إسرائيل في السابع من أكتوبر، ساهمت جميعها في تغيير تصورات إيران السياسية.

وعلى هذه الخلفية، تداخلت سياسات إيران الشرقية والإقليمية – والتي كانت في السابق مجالات متمايزة في سياستها الخارجية. وكانت سياسة "التوجه شرقاً" مدفوعة في المقام الأول بالمصالح الاقتصادية والجغرافيا السياسية العالمية، في حين افتقرت علاقات طهران الإقليمية إلى بُعدٍ اقتصادي كبير، وتمحورت حول المخاوف الأمنية المباشرة والمكانة الإقليمية. أمّا اليوم، فيتداخل المجالان السياسيان، لا بل يجتمعان، من حيث مصلحة الجمهورية الإسلامية في تشكيل النظام الدولي.

رفضت إيران، شأنها شأن الجهات الفاعلة التعديلية الأخرى، النظام الذي تهيمن عليه الولايات المتحدة وأملت ببنية عالمية جديدة متعدّدة الأقطاب مع صعود قوى إقليمية. لذلك رحّبت بالتراجع النسبي لمكانة الولايات المتحدة كقوة عظمى وتصوّرت ظهور نظام ما بعد الغرب. ولقد زعم خامنئي لسنوات أنّ هذا النظام الجديد هو في طور التكوين بالفعل، مشيراً إلى أربعة مؤشّرات رئيسية تدلّ على هذا التحوّل.[5] وتشمل انتقال القوى السياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية من الغرب إلى آسيا بشكل متزايد؛ تراجع نفوذ الولايات المتحدة، وإسرائيل، وأوروبا؛ بروز قوى إقليمية وعالمية جديدة؛ فضلاً عن توسّع "جبهة المقاومة".[6] وفي سبتمبر 2023، كرّر المرشد الأعلى تقييمه بأنّ العالم "على وشك أن يشهد تحولًا".[7]

وفي هذا الإطار، استفادت إيران كثيراً من الحرب الروسية ضد أوكرانيا. فقد أدّت الحرب إلى توسيع الانشقاق العالمي بين الشرق والغرب، ما يفصل روسيا إلى حدّ كبير عن الميدان الغربي في المستقبل المنظور. وهكذا، وقع تخفيف المخاوف الإيرانية التي طال أمدها بشأن موسكو، بما في ذلك الدعم غير الموثوق به الذي تقدّمه هذه الأخيرة في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، أو استخدام إيران كورقة مساومة من جانب موسكو في مواجهة الولايات المتحدة. فضلاً عن ذلك، ومع بروز الصين في الشرق الأوسط كجهة فاعلة سياسية بعد التوسّط في إبرام الاتفاق مع المملكة العربية السعودية، لم تعد سياسة "التوجه شرقاً" التي تنتهجها إيران تعتمد على رؤية غامضة وطويلة الأمد لنظام ما بعد الغرب. وترى طهران بالفعل ملامح عالم جديد متعدّد الأقطاب على طول خط تشكّل كتل عالمية تكشف عن فرص أكبر لشراكات في النصف الشرقي من العالم أوثق بكثير ممّا كانت البلاد تأمل فيه قبل بضع سنوات ليس إلّا. ويتعزّز هذا التقييم من خلال افتراضات طهران حول تضاؤل نفوذ الولايات المتحدة وأوروبا في ظل انخراطهما في حرب مكلفة في أوكرانيا، فضلاً عن تراجع نفوذ إسرائيل بعد هجمات حماس التي وصفها خامنئي بأنها هزيمة "لا يمكن تعويضها".[8]

وأشادت القيادة الإيرانية أيضاً بعملية 7 أكتوبر باعتبارها دليلاً عالمياً على قوّة "محور المقاومة" الذي توسّع الآن بشكل أكبر من خلال المشاركة النشطة لأنصار الله في اليمن. وقد عزّزت الهجمات التصوّر الإيراني بوجود نقطة تحوّل جيوسياسية. ومع استعراض قوّة "محور المقاومة" بشكل كامل، بلغت قدرة إيران على استعراض قوّتها أعلى مستوياتها على الإطلاق. وعلى هذه الخلفية، يبدو أنّ مؤشّرات التحوّل العالمي الأربعة – كما حدّدها المرشد الأعلى – قد أصبحت واضحة.[9] ووفقاً لتقييم طهران، ستسمح التطوّرات السياسية في أوراسيا والشرق الأوسط لإيران بتجاوز التحالفات المترابطة بشكل فضفاض لإنشاء شبكة أكثر إحكاماً من الهياكل والمصالح المشتركة والتوابع في جوارها وفي آسيا عموماً.

هل يلعب الحظ دوره في صعود إيران؟

وبينما ترى القيادة الإيرانية أنّ الظروف مؤاتية لصعودها الجيوسياسي وظهور نظام ما بعد الغرب، إلّا أنّها لا تزال تسير على منحدر زلق. وفي الوقت الذي تحظى فيه جبهة المقاومة بنفوذ غير مسبوق إلّا أنّها أكثر ضعفاً من أيّ وقتٍ مضى. فقد يؤدّي شنّ حرب شاملة من جانب "محور المقاومة" ضدّ إسرائيل وحلفائها إلى توجيه ضربة مدمّرة لجزء من هذا المحور على الأقل، وبالتالي إضعاف أهمّ الأصول الأمنية لإيران في المنطقة بشكل ملحوظ. وبناءً على ذلك، تتّخذ طهران خطوات حذرة بعد 7 أكتوبر، حيث أنكرت أي تورّط لها في التخطيط لعملية حماس، ولكن مع التحذير بأنّ إمكانية فتح جبهة أخرى ضدّ إسرائيل تبقى واردة.[10]

وفي حال أرادت إيران الانخراط بشكل مباشر في صراع عسكري مع إسرائيل، فقد يؤثّر ذلك أيضاً في سياسة "التوجه شرقاً" بشكل كبير. ولا ترغب روسيا ولا الصين في الانجرار إلى مواجهة تشمل المنطقة بالكامل؛ وقد يؤدّي تزايد التصعيد إلى إعاقة توطيد علاقاتهما مع طهران في المستقبل. ومع تحوّل إيران إلى مسؤولية أمنية كبيرة تقع على كاهل موسكو وبكين، فقد تتضاءل بسرعة طموحات طهران في تأدية دور تشكيلي داخل آسيا الصاعدة. وقد تتأثّر عمليّة تطبيع إيران المبدئية مع الدول الخليجية على حدّ سواء. وعلى الرغم من استئناف الدول الخليجية لعلاقاتها الدبلوماسية مع إيران – لخفض حدّة التوترات وتقليل مخاطر المواجهة العسكرية – إلّا أنّها لا ترغب في رؤية طهران تثير المزيد من التوتّر الإقليمي.

وحتى في ظلّ غياب صراع عسكري واسع النطاق، فمن المرجّح أن تخيب التوقعّات الإيرانية تجاه الشرق. ويتّسم نهج السياسة الخارجية الذي تنتهجه طهران بأوجه قصور وقيود متعدّدة، بما في ذلك إمكانية حصول ارتدادات محلّية عنيفة، وقيود اقتصادية بسبب العقوبات الأمريكية الفرعية، وفهم عام خاطئ لمقولة تدهور الغرب.[11] وبينما كانت إيران تدير ظهرها للغرب، كانت سياسة "التوجه شرقاً" التي تنتهجها تعاني بالفعل، ما يحدّ بشدّة من فرص طهران لتوطيد العلاقات الاقتصادية والمالية مع شركائها الشرقيين.[12] وقد أصبح واضحاً أنّه لا يمكن حتى لدول مثل الصين أو الهند الهرب بشكل كامل من الضغوطات للامتثال للعقوبات الأمريكية. ومع ثبات العقوبات الغربية، تبقى سياسة "التوجه شرقا" التي تنتهجها إيران معوّقة.

علاوة على ذلك، وبالرغم من مشاركة جهات فاعلة مثل روسيا أو الصين إيران سخطها على النظام العالمي الحالي، إلّا أنّ ذلك لا يشكّل أي إجماع حول الشكل الذي ينبغي للنظام الجديد أن يتّخذه عندما يتعلّق الأمر بالهياكل أو المؤسسات أو قواعد السلوك الدولية. وبصرف النظر عن أي اختلافات، فقد سعت إيران في الماضي إلى إقامة شراكات أوثق مع هذه الدول على أساس اعتبارات براغماتية. ومع تغيّر البيئة السياسية في أوراسيا، أظهرت طهران استعدادها لتجاوز التحالفات التكتيكية المؤقّتة نحو تعاون إستراتيجي. وفي الوقت عينه، تجاهلت القيادة الإيرانية الانتقادات المحلّية بشأن التكلفات السياسية الفعلية للتحالفات الإستراتيجية وانعكاساتها على السيادة الوطنية، أو رفضتها من دون تردّد.

ونظراً إلى التحديات والعقبات المتعدّدة التي لا تزال قائمة، يبقى صعود إيران الجيوسياسي في النظام العالمي الجديد غير مؤكّد على الإطلاق. ومع ذلك، فمن وجهة نظر طهران، يبدو أنّ الأمور باتت في نصابها الصحيح، بناءً على تصوّرها لنفسها بامتلاك قوّة غير مسبوقة وعند نقطة تحوّل جيوسياسية مثالية. فقد حوّلت حرب روسيا في أوكرانيا وجهود الوساطة التي تبذلها الصين في منطقة الخليج وهجوم حماس على إسرائيل، رؤيةَ إيران للنظام العالمي المستقبلي من رؤية طويلة الأمد إلى هدف قريب المنال. وفيما تسعى إيران إلى نظام دولي معدّل، ستعمل على التنسيق ما بين سياسة "التوجه شرقاً" وسياساتها الإقليمية بشكل أوثق. وبالتالي، فمن المرجح أن تكون طهران أكثر حزماً في أجندتها التعديلية وأقلّ مجازفة في ما يتعلّق بمواجهة أوسع مع إسرائيل أو الولايات المتحدة.

يودّ المحرّران التنويه بأنّ العمل على هذا الملف اكتمل قبل الهجوم الإيراني بالطائرات المسيّرة والصواريخ على إسرائيل في 13 أبريل. وكانت الضربات أول هجوم مباشر لطهران على إسرائيل، والذي اعتُبِر كردّ انتقامي على الغارة الإسرائيلية على القنصلية الإيرانية في دمشق في 1 أبريل. يقدّم هذا الملف نظرة معمّقة على إيران ورؤيتها السياسية، ولا يعكس التحليل التطوّرات الأخيرة.

إنّ الآراء الواردة في هذه المقالة تخصّ المؤلّف حصراً ولا تعكس رأي مجلس الشرق الأوسط للشؤون الدولية.

الهوامش

1. Ali Khamenei, "Six Reasons for the Preference of the East over the West", February 19, 2018, http://farsi.khamenei.ir/others-note?id=38981.
2. Hamidreza Azizi, *Iran's "Look East" Strategy: Continuity and Change under Raisi*, Issue Brief, (Doha, Qatar: The Middle East Council on Global Affairs, September 2023), https://mecouncil.org/publication/irans-look-east-strategy-continuity-and-change-under-raisi/.
3. Javad Heiran-Nia, "Drone Sales to Russia Spark a Debate in Iran," *IranSource (blog)*, November 23, 2022, https://www.atlanticcouncil.org/blogs/iransource/drone-sales-to-russia-spark-a-debate-in-iran/.
4. Press Release," Embassy of the Islamic Republic of Iran" in Brussels, July 23, 2023, https://belgium.mfa.gov.ir/portal/newsview/724904/.
5. Ali Khamenei, "Current World Order Will Be Replaced by a New Order where US Is Isolated, Asia Powerful, Resistance Front Expanded," *Khamenei*, November 2, 2022, https://english.khamenei.ir/news/9273/Current-world-order-will-be-replaced-by-a-new-order-where-US.
6. Ibid.
7. Ali Khamenei, "Transformation of the World: Arrogant Powers in Decline and New Powers Emerging," *Khamenei*, September 11, 2023, https://english.khamenei.ir/news/10083/Transformation-of-the-world-Arrogant-Powers-in-decline-new.
8. Ali Khamenei at a Joint Graduation Ceremony of the Armed Forces, October 10, 2023, https://farsi.khamenei.ir/speech-content?id=54056.
9. "Khamenei, "Current World Order Will Be Replaced
10. Nicolas Camut, "Opening of 'Other Fronts' Possible in Israel-Hamas War, Iran Warns," *Politico*, October 13, 2023, https://www.politico.eu/article/israel-hamas-war-other-fronts-iran-minister-amir-abdollahian-hezbollah-warning/.
11. Jacopo Scita, "The Delusional Lure of Iran's 'Anti-Hegemonic' Front," Stimson Center, July 28, 2023, https://www.stimson.org/2023/the-delusional-lure-of-irans-anti-hegemonic-front/.
12. David Ramin Jalilvand, "Iran's Energy Industry: Going East?," *in Forced to Go East? Iran's Foreign Policy Outlook and the Role of Russia, China and India*, ed. Azadeh Zamirirad, Middle East and Africa Division Working Paper no. 1, (Berlin: German Institute for International and Security Affairs [SWP], April 2020), 6–12, http://doi.org/10.18449/2020WP03.

الخاتمة : إيران في الشرق الأوسط: بناء الجسور أم توسيع النفوذ؟

شهرام أكبر زاده و حميد رضا عزيزي

لقد أدّت الحرب المستمرّة على غزة وحملة الإبادة الجماعية العسكرية التي تشنّها إسرائيل إلى زيادة التوتّرات بين إيران والولايات المتحدة وإسرائيل. وتعزو واشنطن وحلفاؤها هذه التوتّرات أيضاً إلى دعم طهران المستمرّ للجهات الفاعلة الإقليمية – أعضاء ما يسمى بـ "محور المقاومة". ويتألّف المحور، بالإضافة إلى حماس وحركة الجهاد الإسلامي الفلسطينية، من الحوثيين في اليمن ونظام الأسد في سوريا، بالإضافة إلى عدد من الميليشيات الشيعية العراقية. وكما بيّنت فصول هذا الملف بالتفصيل، لقد ردّت القيادة الإيرانية في خضم الحرب على غزة مشدّدة على دورها كمحرّك لهذا المحور. ويؤكّد هذا الرّد من جديد ادّعاء طهران القديم بدعم القضية الفلسطينية، وعلى نطاق أوسع، مصالح العالم الإسلامي، وهو ما يميّز إيران عن الدول المجاورة لها من خلال تذكير المراقبين بمعارضتها المستمرّة لإسرائيل، بعد أن أزهِقت الدماء والأموال في مقاومة الهيمنة الإسرائيلية على الأراضي الفلسطينية.

ومع ذلك، يخدم المحور غرضاً مزدوجاً. فقد أشار شهرام أكبر زاده في الفصل السادس، إلى أنّ طهران تعتبر أيضاً شبكة الجهات الفاعلة الموالية لإيران رادعاً ضدّ الأعمال العدائية وعنصراً أساسياً في إستراتيجية "الدفاع الأمامي". بالتالي، من المفارقة أن يؤدّي الهجوم الذي شنّته حماس في السابع من أكتوبر من العام الماضي إلى لفت الانتباه الدولي إلى إيران واستعراض قوّتها في الشرق الأوسط. ويتزايد هذا الانتباه مع التحدي المتزايد الذي يشكّله الحوثيون على التجارة البحرية الدولية وحركة الملاحة في البحر الأحمر. ولكن كما أشار فوزي الغويدي في الفصل الرابع، فإنّ الحوثيين ليسوا مجرّد وكلاء طهران ولا مجموعة مستقلّة تماماً عنها.

وتشير التطوّرات في نهاية العام 2023 إلى أنّ الرئيس إبراهيم رئيسي لم يكن مستعدّاً لتحديات جديدة. فقبل التصعيد الأخير بين إيران والولايات المتحدة، بدا وكأنّ طهران تحرز تقدّماً ملحوظاً في إصلاح العلاقات مع الدول المجاورة لها وخدمة مصالحها الخاصة. على سبيل المثال، تناول مهند سلوم في الفصل الخامس نفوذ إيران المتزايد في السياسة العراقية. وعلى نحو مماثل، وفي سياق العلاقات الإيرانية السورية، أكّد حميد رضا عزيزي على استمرار انخراط طهران في سوريا على الرغم من تنامي علاقات بشار الأسد مع الدول العربية.

والأهمّ من ذلك، شكّل استئناف العلاقات الدبلوماسية الإيرانية مع المملكة العربية السعودية في مارس 2023، تحت رعاية الصين، إنجازاً مهمّاً لحكومة رئيسي وفق ما لحظه عدد من المؤلفين. وظهر هذا التقارب على ثلاثة مستويات على الأقل. وكما أشار مهران كامرافا في الفصل الأول، لقد أكّد هذا التقارب أوّلاً على إعطاء إيران الأولوية لسياسة الجوار لتخفيف العزلة الدولية. ثانياً، أظهر تغيّر حسابات المملكة العربية السعودية في علاقاتها مع إيران، كما أوضحت فاطمة الصمادي في فصلها. وثالثاً، كشف عن النفوذ الدبلوماسي للصين كضامن لاتفاق مهمّ بين منافسَين إقليميين.

ومع ذلك، فقد تجاوزت آثار استئناف العلاقات الدبلوماسية مع المملكة العربية السعودية المنطقة المباشرة، كما يوضح الملف بقسمه الثاني بالتفصيل. إذ سمح ذلك للقيادة الإيرانية بتقديم نفسها لبكين كشريك موثوق وعقلاني، ما عزّز سياسة "التوجه شرقاً". وشكّل حصول إيران على العضوية الكاملة في منظمة شنغهاي للتعاون في يوليو 2023، بعد سنوات من الجدل والمفاوضات، نتيجةً ملموسةً لهذا التوجّه.

توفّر المكاسب التي حقّقها الرئيس رئيسي من خلال الدفع بسياسة "التوجه شرقاً" الإيرانية مزايا ملموسة للطموحات الإيرانية بنظام عالمي جديد. واعتبرت إدارات سابقة هذه السياسة بمثابة فرصة اقتصادية وحلّ سحري لعزلة إيران. فقد دمّرت العقوبات الأمريكية والدولية المتعدّدة المفروضة على طهران الاقتصادَ الإيراني وأثارت استياءً شعبياً واسع النطاق واحتجاجات عنيفة بسبب الخبز. وكان من المتوقّع أن تخفّف سياسة "التوجه شرقاً" من الأثر الاقتصادي للعقوبات، إلّا أنّها اكتسبت في عهد رئيسي وفي خضم الحرب على غزة، أهمية سياسية أكبر.

وقد أشار عدد من المؤلّفين إلى أنّ نجاحات رئيسي كانت مبنيّة على المقاربات السياسية التي تبنّتها الإدارات السابقة. ووصف لوتشيانو زاكارا ذلك بـ "غياب الإستراتيجيّة"، إذ يمثّل "استمراراً للسياسة الخارجية الإيرانية القائمة بدلاً من تقديم نهج مختلف". ومع ذلك، تعارضت تحليلات الفصول الأخرى مع هذا الرأي. فقد أشار كامرافا إلى أنّه على الرغم من بناء رئيسي سياسته على مقاربات سابقة، إلّا أنّه كان أول من تبنّى رسمياً سياسة

"التوجه شرقاً" كنهج رسميّ. وعلى نحو مماثل، أكّدت آزادي زاميريراد على التكامل المتزايد بين سياستي "التوجه شرقاً" و"الجوار" في عهد رئيسي، رغم إقرارها باستمراريّة بعض السياسات.

في النهاية، وعلى الرغم من اختلاف تحليلات المؤلّفين حول موضوعات معيّنة، إلّا أنّ الفصول كافة شدّدت على دور إيران الأساسي في تشكيل المشهد السياسي الإقليمي. وسيكون العام 2024 حاسماً بالنسبة إلى المنطقة. وستساهم الحرب المستمرّة في غزة، والانتخابات الأمريكية والسياسة الإيرانية الداخلية جميعها في رسم معالم السياسة الخارجية الإيرانية.

ويمكن القول إنّ القيادة الإيرانية عادت بشكلٍ متعمّد إلى التصريحات الأيديولوجية كما في الأيام الثورية القديمة وجدّدت الدعوات إلى نظام عالمي جديد. وقد أشاد المرشد الأعلى علي خامنئي بنهضة آسيا وتراجع الولايات المتحدة. ومن وجهة نظره هذه، لا تخفّف العلاقات الوثيقة مع الصين وروسيا من آثار العقوبات فحسب، بل تبشر ببداية عصر جديد.

وقد اكتسبت السياسة الخارجية الإصلاحيّة حياة جديدة في خلال ولاية رئيسي وإثر التصعيد الأخير للتوترات. فهي تختلف عن المقاربات العملية السابقة وتستهدف الولايات المتحدة باعتبارها قوة مهيمنة تسيطر على المؤسسات الدولية وتضع بشكل أحادي معايير النظام العالمي غير العادل، ويمكن القول إنّها وجهة نظر مبرّرة بسبب تهاون الولايات المتحدة بشأن الحرب المستمرّة على غزة. وتقدّم هذه النظرة العالمية الإطار لمشاركة إيران الخارجية وصنع القرار؛ ويجب أن يتوافق أي تقارب مع الدول المجاورة لها مع هذا الإطار الشامل، ما يصبّ في قلب المقاربة الإيرانية.

ومن غير المرجّح أن تتخلّى إيران عن شبكة المحسوبية الخاصة بها على الرغم من ردود الفعل الإقليمية العنيفة تجاه علاقاتها بالوكالة على مدى العقد الماضي. وتعتبر القيادة الإيرانية، والتي تنشط الآن في عهد الرئيس رئيسي، التوتّرات الإقليمية المتصاعدة إثباتاً لرؤيتها؛ فهي ترفض الجهود السابقة لإيجاد أرضية مشتركة مع الغرب باعتبارها مضلّلة في أحسن الأحوال، وغادرة في أسوئها. وقد أدّى فوز المحافظين المؤيّدين لرئيسي في الانتخابات البرلمانية في مارس 2024 إلى تعزيز هذا التحوّل السياسي. وفيما يعمل مناصرو رئيسي على ترسيخ السلطة وعكس مسار السياسة الداخلية والخارجية، تتضاءل احتمالات التوصّل إلى تسوية بشأن القضايا المتنازع عليها، مثل الاتفاق النووي، أكثر فأكثر. وسيفرض هذا المشهد السياسي المتغيّر – إلى جانب سياسة إيران الخارجية الإصلاحيّة بحثاً عن نظام عالمي ما بعد الغرب –عقبات خطيرة أمام تحسين العلاقات بين إيران والدول المجاورة لها.

يودّ المحرّران التنويه بأنّ العمل على هذا الملف اكتمل قبل الهجوم الإيراني بالطائرات المسيّرة والصواريخ على إسرائيل في 13 أبريل. وكانت الضربات أول هجوم مباشر لطهران على إسرائيل، والذي اعتُبِر كردّ انتقامي على الغارة الإسرائيلية على القنصلية الإيرانية في دمشق في 1 أبريل. يقدّم هذا الملف نظرة معمّقة على إيران ورؤيتها السياسية، ولا يعكس التحليل التطوّرات الأخيرة.

إنّ الآراء الواردة في هذه المقالة تخصّ المؤلّفين حصراً ولا تعكس رأي مجلس الشرق الأوسط للشؤون الدولية.

نبذة عن

مجلس الشرق الأوسط للشؤون الدولية

مجلس الشرق الأوسط للشؤون الدولية هو مؤسسة مستقلّة غير ربحيّة تُعنى بالبحوث بشأن السياسات، وتأخذ من العاصمة القطرية الدوحة مقرّاً لها. يُجري المجلس بحوثاً بشأن السياسات ويعقد الاجتماعات وجلسات الحوار وينخرط مع الجهات الفاعلة في السياسات حول القضايا الجيوسياسية والاجتماعية الاقتصادية التي تواجهها منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. ويؤدّي المجلس دور صلة الوصل بين منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وباقي العالم، ويقدّم مقاربات إقليميّة للقضايا والسياسات العالمية ويؤسّس شراكات مع مراكز بحوث ومنظّمات تنموية في أرجاء منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا والعالم.

المحرّران

شهرام أكبر زاده هو زميل أول غير مقيم في مجلس الشرق الأوسط للشؤون الدولية، وأستاذ باحث في سياسات الشرق الأوسط وآسيا الوسطى. ويشغل منصب نائب مدير الوحدة الدولية في معهد ألفريد ديكين للمواطنة والعولمة في جامعة ديكين في أستراليا. وتشتمل مواضيع بحثه على العلاقات العابرة للحدود الوطنية والعلاقات الدولية في الشرق الأوسط. وتولّى مؤخراً قيادة مشروع تأمين الهوية الكردية بدعم من مؤسسة غردا هنكل ستفتانغ، وقاد مشروع الحروب بالوكالة بتمويل من مؤسسة كارنيغي. ويقوم أيضاً بعقد اجتماعات في منتدى دراسات الشرق الأوسط في معهد ألفريد ديكين للمواطنة والعولمة. وقبل ذلك، كان أكبر زاده زميلاً في برنامج Future Fellows التابع لمجلس البحوث الأسترالي، وركّز في بحثه على صنع السياسة الخارجية في إيران.

حميد رضا عزيزي هو زميل غير مقيم في مجلس الشرق الأوسط للشؤون الدولية، وزميل زائر في المعهد الألماني للشؤون الدولية والأمنية، وهو أيضاً باحث مشارك في معهد كليندال الهولندي للعلاقات الدولية. وكان عزيزي قبل ذلك زميلاً مشاركاً في مركز الشرق للأبحاث الاستراتيجية في العام 2022. وقد حاضر في عددٍ من الجامعات الإيرانية، مثل جامعة طهران (2016-2018) وجامعة شهيد بهشتي (2016-2020). وتشتمل مواضيع بحثه على القضايا الأمنية والجيوسياسية في منطقة الشرق الأوسط والمنطقة الأوروبية الآسيوية، وعلى سياسة إيران الخارجية والأمنية، فضلاً عن العلاقات الإيرانية الروسية.

يود المحرّران أن يشكرا جميع المؤلّفين على مساهماتهم في هذا الملف. ويتوجّهان أيضاً بالشكر لتانر مانلي على عمله التحريري، وفريق عمل التواصل والإعلام في مجلس الشرق الأوسط للشؤون الدولية على دعمهم المستمرّ.

مجلس الشرق الأوسط للشؤون الدولية
برج المانع، الطابق الثالث، الشارع 850،
المنطقة 60، الدوحة، قطر
www.mecouncil.org